كتاب اليوم

صفحات من حياة

أنور السادات



يقدمها: علي عمر

دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده
رئيس التحرير :
نبيل أباظة

أكتوبر ٢٠٠١
عدد ٤٤٦

إهداء ٢٠٠٧
الدكتور / عاطف رمضان دياب
جمهورية مصر العربية

أسعار كتاب اليوم الثقافى فى الخارج

الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٣٠	درهم
لبنان	٥٠٠٠	ليرة
الأردن	٢,٥٠٠	دينار
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٧٥٠	دينار
السعودية	١٥	ريالاً
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٣,٥	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٥٠	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٥٠٠	دينار
سلطنة عمان	١,٥٠٠	ريال
غزة	٣	دولار
ج اليمنية	٣٠٠	ريالاً
الصومال، نيجيريا	٨٠	بني
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٥	درهماً
قطر	١٥	ريالا
انجلترا	٣	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
المانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا - أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٦	دولار

- العنوان على الانترنت

WWW. akhbarelyom. org\ketab

- البريد الالكترونى

akhbar el yom@akhbarelyom. org

• الاشتراكات •

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٧٢ جنيها مصريا

• البريد الجوى •

دول اتحاد البريد العربى ٣٣ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٨ دولارا

أوربا وأمريكا ٤٣ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٥٣ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

- ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
- ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

- فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠
- تلكس دولى ٢٠٣٢١٠
- تلكس محلى ٢٨٢
- قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة
- تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

صفحات من حياة

أنور السادات

علي عمر

يقدم

الكفاح الشعبى المصرى

[illegible] نضال الشباب



صفحات
من حيـــاة
أنـور الســادات

الإهــــداء

إلى مصر الخالدة
إلى الأم الرؤوم
أهدى هذه الصفحات

علي عمر



صفحات من حياة أنور السادات



ولد فى قرية « ميت أبو الكوم » مركز « تلا» بمحافظة المنوفية فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩١٨.

وعاش فى القرية أخصب أيام حياته مع الأرض والساقية والفلاح .

وبدأ حياته فى كتُّاب القرية ثم حصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالزيتون وكان والده يعمل فى ذلك الوقت فى السودان مع القوات المصرية .

وفى عام ١٩٣٦ حصل على الشهادة الثانوية وتقدم إلى الكلية الحربية ونجح وكان ترتيبه الـ « ٥٢ » وهو العدد المطلوب ولكنه وجد نفسه قد

أخرج مع ستة آخرين لإلحاق وزير الحربية سبعة من الطلبة من أقاربه فى الكلية الحربية .

والتحق بكليات الآداب والحقوق والتجارة ولكنه لم يمكث فى كل منها أكثر من أسبوع وتمكن والده بمساعدة كبير معلمى الكلية الحربية أن يعيد ابنه إليها وكان من دفعته زكريا محيى الدين وتخرج فى الكلية الحربية فى عام ١٩٣٩ .



صفحات
من حياة
أنور السادات

الضباط الشباب الذين حصلوا على نجمة ملازم من ١٩٣٨ حتى ١٩٤٠ تأثروا كلهم بالأفكار الوطنية تأثرا عميقا ، وكانوا جميعهم بلا استثناء يحملون فى قلوبهم الحقد على الاحتلال والتوق إلى عمل شيء لتأمين نهضة مصر

الفصل الأول

حقد على الاحتلال

المكان : القاهرة .

الزمان : عام ١٩٤٠ .

الإنجليز يجوبون شوارع القاهرة نهاراً وليلاً .. وعلى رأس الحكومة المصرية على باشا ماهر .. إلا أن الحاكم الحقيقى هو السفير البريطانى ، أما أبناء شعب مصر فإن الحقد أصبح يملأ قلوبهم سيما وأن جنود الإمبراطورية العظمى التى لا تغيب الشمس عنها كانوا يتصفون بأحط أنواع الأخلاق .. وكانت الصحف تخرج كل يوم بقصص تحكى مغامراتهم .. أذكر منها هذه الحكاية التى تعطى صورة عن الوحشية الآدمية لأبطال الامبراطورية .. « وقف أحد اللوريات وكان به ٢٠ جنديا بجوار أحد المنازل حيث كانت تقف فتاة صغيرة لم تتجاوز الخامسة عشرة .. ونزل أربعة جنود من أبطال بريطانيا العظمى المتحفزة .. واختطفوا الفتاة وحملوها إلى داخل العربة ، وانطلقوا نحو المعسكر بسرعة جنونية وبنفس السرعة التى كانوا ينسحبون بها أمام جنود الألمان ، وبنفس الشجاعة التى كانوا يهربون بها أمام قوات أعدائهم فى ذلك الوقت . وحاول الأهالى مطاردة العربة ، ولكنها هربت بمن فيها . وفى اليوم التالى عثر على جثة الفتاة بقرب أحد المعسكرات وقرر الطبيب الشرعى أنها كانت ضحية جنود بريطانيا الشجعان ..؟ ثم حدثت فى تلك الأيام حوادث

مخزية كثيرة تدل على استهتار هذه القوات الطاغية .

ولقد كان على رأس الجيش المصرى فى تلك الأيام الفريق عزيز المصرى الذى حاول جاهدا أن يجهز الجيش المصرى بأحدث السلاح وكافة المعدات .. ولكن .. أبى الإنجليز التسليم لمقترحاته .. ويذكر أحد الضباط أنه - رأى عزيز المصرى - كان يمر على سلاح الفرسان الذى تسلم من إنجلترا يومها دبابات خفيفة ، ووقف يستمع إلى شرح رئيس البعثة الإنجليزية الذى أخذ يعدد مناقب وقوة دروع هذه الدبابات وكيف أن الرصاص لا يخترقها ، وأن صلبها من نوع ممتاز.. وهنا أمر عزيز المصرى أحد الضباط بالابتعاد بالدبابة ١٠٠ياردة ثم أمره بالخروج منها هو وجنوده ، ثم تناول الفريق بندقية أحد الجنود وأطلق رصاصة على صلب الدبابة الذى لا يخترقه الرصاص.. وأثبتت التجربة عكس ما تغنى به رئيس البعثة البريطانية، وذهب الجميع ليروا نتيجة التجربة العملية لصلب شيفلد ، فرأوا ثقباً كبيراً وقال عزيز المصرى :

- يظهر أنهم أضافوا الخشب إلى الصلب .

كانت مصر فى هذه الفترة مهددة بجيوش المحور من الغرب ودعا الحلفاء لمؤتمر حضره على ماهر رئيس وزراء مصر وصالح حرب وزير الدفاع وعزيز المصرى رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى .. واقترح الجانب البريطاني يومها نقل الجيش المصرى إلى واحة سيوة (على الحدود المصرية الليبية) لمواجهة قوات المحور فى الجنوب على أن يترك الإنجليز الجبهة الساحلية .. للدفاع عنها تحت حماية الأسطول .

وهنا ظهر رأى مصر مجسدا فى شخصية عزيز المصرى الذى رفض ذلك الاقتراح ، وقال إنه إذا انهزم الجيش المصرى فى واحة

سيوة فى مواجهة قوات المحور فلن يكون هناك خط انسحاب للجيش لأن مصر لا تملك إلا عددا قليلاً من الدبابات الخفيفة ، وليس لدينا أى مصفحات ثقيلة يمكنها أن تصمد أمام دبابات جيوش المحور ومدافعه .. ويومها صرخ الفريق المصرى فى وجه الجنرال ولسون والسفير البريطانى مايلز لامبسون وهو يقول : لو وقعت معركة فاصلة فى سيوة فإن الجيش لن يستطيع الانسحاب لأنه غير مجهز بالعربات والحملات الميكانيكية .. كما أن الطرق غير ممهدة مما سيؤدى حتما إلى إبادة الجيش كله ، وسيؤثر ذلك قطعا على الروح المعنوية لعدة أجيال قادمة .. ولم يسكت عزيز المصرى عند هذا الرأى ، ولكنه اقترح إقامة معسكرات لتدريب ربع مليون جندى على وجه السرعة على أن يذهب هو بنفسه إلى الولايات المتحدة ليحضر أسلحة حديثة ومدرعات لتدريب الجيش فى مدة ستة شهور .. وهنا يمكن أن يتولى الجيش الدفاع عن الساحل وواحة سيوة .. وغيرهما .. ولم يعجب هذا الرأى سادة إنجلترا الذين كانوا يهدفون إلى إصابة عصفورين بحجر واحد ، الأول هو التخلص من عزيز المصرى .. والثانى هو وضع قائد آخر للجيش بعد أن رفض الفريق اشتراك القوات الجوية ضد المقاتلات الألمانية .. لكن عزيز المصرى واصل حديثه لقادة إنجلترا بقوله :

– ثم إننى لا أرى أى جدوى من الدفاع فى السلوم أو فى مرسى مطروح . وهنا ضحك الجنرال الإنجليزى وقال :

– إن مطروح هى بندقية صعبة الكسر فى فم روميل يا باشا .. ومن المستحيل أن تسقط بسهولة .. وإذا سقطت مطروح فيكون تحصين الاسكندرية فى المرتبة الثانية لتواجد قوات المحور .

وابتسم عزيز المصرى ساخرا ومتحديا ، وقال :

– إن مطروح لا تقف أمام روميل ٢٤ ساعة ، وأنا لو كنت مكانك يا جنرال لدعمت دفاعي هنا .. (عزيز المصرى يشير إلى الموقع على الخريطة الممدودة أمامهم) وهنا سأل وزير الحربية صالح حرب مستفسراً :

– ما اسم هذه المنطقة يا عزيز باشا ..؟

– اسمها العلمين (ثم تابع حديثه إلى الجنرال ولسون) ركز دفاعك يا جنرال فى هذه المنطقة .. فهى عنق الزجاجة ، وإذا احتضنتها فلن تستطيع قوات المحور اقتحامها علاوة على أن قواتهم ستجتمع أمامها وتكون مكشوفة وقريبة من أهداف الطائرات والأسطول .

وأراد عزيز المصرى أن يذكر جنرال بريطانيا كيف أسقطت جيوش المحور القلعة الجبارة طبرق فقال :

– أظن أنك تعلم جيدا أن روميل قاد بنفسه مجموعة القتال من الفيلق الأفريقى والتى قامت بتحطيم الأوكار على منحدر الجبل باتجاه المدينة كما تتحطم البندقية .

– (وقال الجنرال ولسون بغضب) ماذا تعنى يا باشا ؟

– وهنا رغب عزيز المصرى فى أن يكون أكثر صراحة :

– أعنى أن آلن مورهيد ذكر فى بيانه أن روميل حصل على أغلى كنز من المعدات جادت به الصحراء . وحصل على ما يكفيه من العربات البريطانية والعديد من المدافع وما يكفيه من الوقود والذخيرة ليعيد بها تجهيز وتسليح قواته ليندفع بها رأسا إلى مصر ـ وتساءل آلن : يا جنرال ـ هل سيكون روميل قريبا على ضفاف النيل ؟ وهل يحقق ضباطه حلمهم بشرب الويسكى فى بار فندق شبرد ؟

وهنا ذعر الجنرال ولسون لمعرفة عزيز المصرى لهذه المعلومات ..

ولم يترك له عزيز المصرى فرصة للكلام .. وتابع حديثه :

- ألم تسمع إذاعة برلين يا جنرال لقد قالت عن لسان روميل .

«يا جنود الجيش الأفريقى ، يجب علينا أن ندمر العدو تماما الآن وخلال الأيام المقبلة سوف أطلب منكم تنفيذ مهمة جسيمة أخرى حتى يمكننا الوصول إلى هدفنا » .

وسأل صالح حرب : وما هو هدفهم يا باشا ؟

- النيل طبعا .. إن انتصار طبرق ما هو إلا نقطة البداية ..

والتفت إلى الجنرال قائلا :

- لقد أرسل هتلر إلى موسولينى برقية يقول فيها : « إن آلهة النصر تبتسم مرة واحدة فقط أيها الدوتش » وهنا التقط السفير البريطانى مايلز لامبسون حبل المناقشة ليخفف من حدة توتر الجو الذى ساد الحديث وقال :

- وهل تعتقد أن يعمل فى نيته الهجوم على دلتا النيل يا باشا ؟

- نعم .. هذا هو هدفه .. فهو سيبذل كل ما فى وسعه ليمنع الجيش الإنجليزى من فتح جبهة ثانية .. فهو على علم تام بأن الجيش الثامن الآن فى غاية الضعف .. وأنه يعتمد على فرقتين من المشاة بالإضافة إلى أن المدرعات الإنجليزية التى يمكن دفعها إلى المؤخرة ليست بالقوة الضاربة .. وهكذا كشف عزيز المصرى لقادة بريطانيا العظمى ما هو موقفهم وما يجب أن يفعلوه فى هذه المحنة التى أصابت جيوشهم فى الصحراء ..

وتظاهر القائد البريطانى بعدم الاقتناع والإصرار على رأيه بينما كان فى الواقع مقتنعا بكلام المصرى .. ولكن لابد من المكابرة .. وفوجىء عزيز المصرى فى اليوم الثانى بخطاب محول إليه من وزير الدفاع عن طريق رئيس الوزراء ومرسل من السفير الإنجليزى يطلب

فيه من الحكومة المصرية نقل الجيش إلى واحة سيوة .. وهنا أبدى عزيز المصرى سخطه على الأسلوب والعقلية الإنجليزية العتيقة .. والتى لا تتغير .. ورفض أن يتحمل وزر إبادة الجيش المصرى ، وكما تعود الإنجليز أن يأمروا فيستجاب لهم ولهذا طلبوا إعفاء عزيز المصرى من الجيش أو إعطاءه إجازة إجبارية وتم تنفيذ وإطاعة الأوامر الصادرة إلى الحكام الذين منحوا عزيز المصرى إجازة إجبارية .. ولأجل غير محدود .

وذهب القائد المناضل فى تلك الظروف الحرجة ليستريح ويشاهد وطنه وبلده ضحية للسياسة الإنجليزية .

●●●



صفحات
من حياة
أنور السادات

ما كان حادث ٤ فبراير ليستطيع إزالة السخط ولا وقف الشعور الشعبى المضاد للإنجليز، وإنما هو جدير بزيادة السخط والكراهية وكشف العداء سافرا بين شعب مصر وبين جنود الاحتلال
أنور السادات

الفصل الثانى

السخط الشعبى



كانت حادثة إعفاء عزيز المصرى هى بداية تحرك بعض الشباب فى الجيش المصرى .. فقد كان عزيز المصرى بمثابة الأب الروحى لهم .. بل إن رتبته العسكرية لم تكن عائقا أو حاجزا بينه وبينهم . وكان ذا قلب كبير .. حيث اجتمع حوله الصغير قبل الكبير ، ولقد أثر نبأ إعفائه من رئاسة هيئة أركان الحرب فى نفوس المخلصين من أبناء الجيش الذين عرفوه عن كثب تأثيرا سيئا ، فقد كانوا يرون فيه قائدا ومناضلا لا يتلقى الأوامر إلا بوازع من ضميره الحى للحفاظ على أبنائه لا طمعا فى التملق والوصول .. ولن ينسى الذين عملوا معه هذه الحكاية التى إن دلت على شىء فإنما تدل على الكياسة والذكاء والفطنة .

لم يكن للجيش المصرى فى هذه الفترة سوى ستة أسراب قتال من طراز جلاديتر وكانت قوة هذه الأسراب مكونة من ٢٨ طائرة قتال جديدة وثلاثين طيارا .. أما الطائرات الصالحة للقتال ، فقد كانت عشر طائرات فقط وذلك لنقص فى قطع الغيار التى حجزتها إنجلترا بحجة أنها غير متوافرة فى الوقت الحاضر .. ولما تكرر طلبها ، كان الرد يأتى أنه تم شحنها .. ثم بعد عدة أشهر يعلنون عن غرق المركب التى كانت تحمل قطع الغيار .. وكان الهدف من وراء كل هذه الحجج

والأكاذيب عدم تمكين الجيش المصرى من تجهيز نفسه .. بل وإعاقة الطيارين عن مواصلة تدريباتهم فى الوقت الذى كانت مخازن سلاح الطيران الإنجليزى مملوءة على آخرها بجميع الاحتياجات .

ولعبت الأقدار فى هذه الآونة دورا مهما .. إذ كان لانجلترا فى مصر ثلاثة أسراب قتال .. وفى لحظة مباغتة انقضت ثلاثون طائرة مقاتلة من طائرات المحور على المطارات الإنجليزية فى الصحراء الغربية وأسقطت ٢٠ مقاتلة إنجليزية فى يوم واحد .. وبقيت ثمانى طائرات صالحة بخلاف الطائرات التى ضربت على الأرض .

وهنا وجد الإنجليز أنهم لا يملكون غطاء جويا يحميهم من هجمات طائرات المحور ، وطلبوا يومها النجدة من المقاتلات المصرية للتعاون مع بقايا السرب الإنجليزى لحماية القوات البريطانية من الجو .

وكان رد القوات الجوية :

« لا مانع من القتال ، ولكن لا يوجد لدينا الطيارون المدربون ، إن ربع القوات فقط هو المدرب على القتال . وباقى الطاقم لا يقاتلون فى الليل ولا يجيدون المعارك الفردية أو إطلاق النار من الأرض للجو أو من الجو للأرض .. وأخيراً لا توجد لدينا قطع غيار لإصلاح الطائرات » وفجأة .. فتحت المخازن البريطانية على مصراعيها للقوات الجوية لتأخذ ما تشاء .

وكانت هذه اللحظة نقطة انطلاق أبناء مصر المخلصين فى الجيش ، فقد اتصلوا سرا بالفريق عزيز المصرى ليطلعوه على حقيقة الموقف بالنسبة للطائرات والطيارين وبعد دراسة من القائد المحنك قال لهم :

– خذوا منهم كل ما تريدون .. وليتم تدريب جميع الطيارين بكفاءة

وقبل سفرهم إلى الصحراء سأكون قد عملت جميع الترتيبات .

وأخذت القوات الجوية المصرية من مخـزن الإنجليز قطع غيار تكفي الأسراب لمدة خمس سنوات كاملة ، وذلك بخلاف الملايين من طلقات المدافع .

ثم بدأ التدريب الذى استغرق ٤٠ يوما ، وحصل الطيارون على أرقام قياسية نتيجة لتوافر كل شيء لديهم ، وفي نهاية مدة التدريب أصبح الطيارون على أهبة الاستعداد وكم كانت سعادة عزيز المصرى كبيرة بانتهاء التدريب ، والجدير بالذكر أن كل طائرة من الأسراب المصرية كانت مجهزة بأربعة مدافع يطلق كل مدفع ١١٥٠ طلقة فى الدقيقة وكان على الطيار أن يطلق طلقات طوال ١٠ دقائق فى كل تدريب على الأقل ، كما كان عليه أن يقوم بمثل هذا التدريب من خمسين إلى ثمانين مرة .

وجاءت لحظة الصفر .. فقد كانت جميع الطائرات معدة للسفر وجميع الطيارين فى أماكنهم استعدادا للتحرك .. واتصل القائد بمدير السلاح ليستأذنه فى السفر ، وحضر بنفسه وقام بالتفتيش على الطائرات وذهب بدوره ليستأذن رئيس هيئة الأركان العامة للجيش وقام بالاتصال بعزيز المصرى فى منزله فأبدى دهشته وسأله:

– من أصدر هذه الأوامر ؟

– صدرت من إدارة العمليات يافندم .

– لكن أنا ليس عندى خبر بهذه الأوامر (واستطرد قائلا) ثم كيف تشترك طائراتنا فى الدفاع عن القوات الإنجليزية فى الصحراء ونحن لسنا فى حالة حرب مع الألمان .

وسارع مدير السلاح يقول :

- إن الأوامر صادرة من إدارة العمليات يا باشا .

واستدعى يومها عزيز المصرى مدير السلاح لمقابلته ، وأعطاه درسا فى الوطنية وكيف أنه يجب عليه ألا يتلقى تعليمات من الإنجليز بل من رئيس أركان حرب الجيش المصرى وحده ، وعاد مدير السلاح إلى المطار ، والطائرات مجهزة للإقلاع والطيارين على أهبة الاستعداد وأصدر أوامر بالانصراف وعودة الطائرات إلى منطقة السويس وحلوان للدفاع عن الأراضى المصرية وحدها . وكانت هذه هى المرة الأولى التى تحلق فيها الأسراب المصرية بكامل تشكيلاتها فى الجو .

ويومها جن جنون الإنجليز .. ولكن ماذا يصنعون ، لقد تمكنوا من التأثير على مدير العمليات الذى خضع لهم ، لكن كيف يخضع لأوامرهم شخص مثل عزيز المصرى .

وهكذا عرف عزيز المصرى وسط ضباطه وجنوده .. لقد عرفوه قائدا قوى الشكيمة لا يطيق أن يأخذ أمرا يهدد كيان الجيش وابنائه ومن هنا كانت محبة الضباط واحترامهم له ولمواقفه الفذة .. ولهذا لم يكن غريبا التفافهم حوله حتى بعد إعطائه الأجازة الإجبارية .. مثل التفافهم حوله وهو رئيس لأركان حرب الجيش .

وبدأت هذه الطلائع فى الاتصال بالقائد المتقاعد .. وفى الخيام .. وعلى ضوء القمر ، بدأ أول شعاع ينطلق من المعسكرات ، بدأ شباب مصر يبحثون عن شىء يفعلونه لينقذوا وطنهم مما أصابه .

وللتاريخ فإن أول مجموعة تكونت فى هذه الفترة من الأحرار كانت مكونة من الطيار محمد وجيه أباظة والطيار أحمد سعودى (استشهد) وعبد اللطيف البغدادى (نائب رئيس الجمهورية السابق) والطيار

حسن عزت .. ومحمد أنور السادات وكانوا كما ترى من سلاح الطيران باستثناء أنور السادات فهو الوحيد الذى كان من سلاح الإشارة ، وكان يومها برتبة يوزباشي .

وكون هؤلاء الضباط أول لجنة من الضباط الأحرار ، وقسموا العمل فيما بينهم وكان نصيب السادات مهمة الاتصال ، والبغدادى التنظيم وأباظة الدعاية وسعودى الإرهاب وعزت الإدارة المالية ..

ويومها دفع كل منهم عشرة جنيهات لتغطية رأس مال اللجنة ودفع أنور السادات خمسة جنيهات لأنه كان متزوجا ورب أسرة .

وفى كوبرى القبة فى ضواحى القاهرة تم استئجار فيللا لعقد الاجتماعات فيها .. وفى خلال ستة أشهر ارتفع عدد الضباط الأحرار إلى ثلاثين ضابطا من الموثوق فيهم .

ونشط أنور السادات نشاطا ضخما فى ضم ضباط جدد من الإشارة والبيادة لصفوف التنظيم بعد أن يضعهم فى امتحان عسير .

وكان يوجد بجانب هذا التنظيم بعض التنظيمات السرية الأخرى التى نظمت بمعرفة بعض المدنيين ، فقد ألف أحد أعضاءالحزب الوطنى المتطرفين عصابة اتخذ لها مقرا فى إحدى الشقق فى ميدان الأوبرا كتب عليها لوحة تحمل اسم « بيت المغرب » وطلب من السادات العمل على الاتصال بهذا التنظيم .. فوضع مقره تحت المراقبة دون أن يشعر به أحد وتمكن من جمع المعلومات الكاملة عنه وعرف أنه يتخذ من هذه الشقة مكانا للاجتماعات وطبع المنشورات السرية التى تلهب حماس الجماهير وتوضح لهم حقيقة ما وصلت إليه البلاد تحت ستار أنها ليست إلا مقرا لنادى أبناء المغرب .. وكان وراء هذه المجموعة من الشباب الثائر عبد العزيز على وهو أحد أبطال ثورة ١٩١٩ .

والتقت مجموعة أنور السادات بمجموعة عبد العزيز على لتنسيق العمل فيما بينهم .. ويسر عبد العزيز على لهم تدريب المجموعات الشعبية شبه العسكرية ، إذ وضع تحت تصرفهم جهازه السرى وفرق هجوم جماعته التى ألفها قبل أحداث سنة ١٩١٩ ، وكانت لمساعدته الإيجابية قيمة عظيمة .

وكان من أنشط وأبرز أعضاء مجموعة عبد العزيز على شاب أزهرى طويل القامة ، مليح الوجه يرتدى جبة وقفطانا وعمامة ، ويضع على عينيه نظارة.. لقد كان الشيخ أحمد حسن الباقورى الذى تولى وزارة الأوقاف بعد ذلك كانت مصر أثناء الحرب العالمية الثانية ممزقة بين الأحزاب المتطاحنة والمنظمات الإرهابية والحكومات البوليسية وسماسرة الحكم .

وكان على رأس الوزارة محمد محمود باشا ، وهو أبعد رجال السياسة فى مصر عن السياسة ، فقد كان غليظ الطبع ، سريع الغضب شديد البطش والغرور .. ووقع صدام عنيف بينه وبين على ماهر رئيس الديوان الذى يعتمد فى نفوذه على القصر .. بينما رئيس الوزراء يعتمد على الإنجليز الذين ربوه صغيرا واحتضنوه كبيرا ، وتمكن محمد محمود من إقامة الحكومة البوليسية فى ظل برلمان مزيف ، وتحت حماية الدستور .

واستمر الصراع الهادىء بين رئيس الوزراء ورئيس الديوان الذى ورث الوزراء بعد ذلك .. وقد لعب الإنجليز لعبتهم كعادتهم .. فهم الذين دفعوا بعلى ماهر ليكون رئيسا للوزارة وأصبح وحيدا فى ميدان المعركة ، ولم تمض على وزارته مدة أشهر إلا وبدأ نجمه كرجل سياسى فى الأفول حتى وصف بأنه ارستقراطى الفكر والنشأة ..

واعتقلوه حتى انتهاء الحرب ، وكان من نصيبه أن يقضى هذه السنوات فى الصحراء لأنهم وجدوا أنه صاحب سياسة حياد مصر فى الحرب ، وأنه المؤثر المباشر على الملك واتجاهاته . وكما يتداول الفريق الكرة بين أرجله ، أخذ الملك يتداول الوزارات .. ولم يرده عن هذا إلا وقوع حادثة ٤ فبراير التى كادت تودى بعرشه إلى الهاوية . وهبت فى مصر المظاهرات التى طالبت بلقمة العيش بعد أن مرت بها أزمة تموينية رهيبة .. والفساد منتشر فى كل مكان حتى أن الفوضى عمت جميع أنحاء البلاد ، ووصلت إلى حوادث لقطع الطرق وحوادث أخرى للقتل . وشعر رجل الشارع أن ذلك نتيجة الحصار الذى ضرب حول مصر بسبب الحرب . ومع هذا الجو الخانق ، والمجاعات التى حلت بالمصريين اخترقت جيوش المحور خطوط الحلفاء فى الصحراء الغربية ، ومنيت جيوش الإنجليز بهزائم ساحقة. نتيجتها أن الشعب المصرى كان يشاهد جنود صاحبة الجلالة عراة وحفاة فى شوارع القاهرة . وسارعت السفارة الإنجليزية إلى حرق أوراقها ، وبدأ أفراد الجالية البريطانية فى الهروب إلى السودان .

وهنا تحولت المظاهرات ضد فقدان القوت إلى إنفجارات ضد الإنجليز تهتف إلى الأمام يا روميل ، حذاء فاروق فوق رأسك يا ورج وأحس الإنجليز أن الموقف العسكرى والسياسى يؤذن بخطورة فادحة ، وأن زمام الحرب يكاد يفلت من أيديهم لأن ضياع مصر فى ذلك الوقت كان يعنى ضياع بريطانيا وحلفائها ووجد الإنجليز أنفسهم مضطرين إلى الإتيان بحكومة الوفد لمواجهة التيار الجارف الذى اجتاح البلاد وسخط الشعب عليهم ، ولهذا طلبوا من الملك دعوة الوفد لتشكيل الوزارة .. ولكنه رفض طلبهم .

وفي ليلة ٤ فبراير توجهت الدبابات الإنجليزية وحاصرت قصر عابدين وفرضت حكومة الوفد .

وكان وراء حادث ٤ فبراير تراكمات بين القصر والإنجليز فلقد استمر الملك يلعب بالنار إلى ما قبل هذا الحادث ليقينه أن الحلفاء سوف يهزمون فى الحرب حتى أنه أسند الوزارة بعد اعتقال الإنجليز لعلى ماهر إلى حسن صبرى ثم حسين سرى .. وهكذا أخذ الملك يتداول الوزارات كما يحلو له .

ولما شعر الإنجليز بسخط الشعب المصرى بعد الانتصارات التى حققها روميل ، قررت القيادة البريطانية فى مصر أن تطلب من حكومتها التدخل لدى الملك فاروق ليدعو مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد لتأليف الوزارة حتى تواجه الموقف الداخلي المتدهور الذى أصبح يهدد إمدادات الحلفاء في مصر . وأبلغ الملك فاروق بطلب لندن غير أنه تلكأ فى دعوة مصطفى النحاس .. وهنا وجهت إليه الحكومة البريطانية ليلة ٤ فبراير ١٩٤٢ إنذارا محددا وهو أنه إذا لم يكلف مصطفى النحاس بتأليف الوزارة قبل الساعة السادسة مساء فإنه سيكون مسئولا عن النتائج التى تترتب على ذلك .

ودعا الملك كل الزعماء في مصر للتشاور في الأمر وقرروا جميعا رفض الإنذار الإنجليزى .. وعلى الفور تم حصار قصر عابدين وصوبت المدافع البريطانية إليه . وهنا أذعن الملك لطلب الإنجليز وطلب من الوفد تأليف الوزارة .

والغريب أنه عندما تألفت حكومة النحاس توجه السفير البريطانى فى مصر إلى مجلس الوزراء لتقديم التهانى إلى رئيس الوزراء ..

وهناك حمله أفراد من حزب الوفد على أعناقهم وأخذوا يهتفون بحياته وحياة بريطانيا .

وشعر الأحرار بصدمة عنيفة وأن وصمة عار قد ألصقت بهذا البلد ووجدوا أنه إذا قضى على الخونة فإن الاستعمار الذى يحكم البلاد سيترنح ويسقط .. وكان رد فعل حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ هو أن ذهبت فرق من الجيش المصرى إلى قصر عابدين وعبرت فى صمت أبلغ من الكلام ومن كل هتاف عن عدم رضاء الجيش عما حدث وفى هذا الجو المفعم بالمخاطر والتعاسة هبت عاصفة رملية . قوية على الصحراء تسببت فى حجب الرؤية .. واستغل روميل هذه الفرصة وأشعل النيران فى بعض الهياكل من الدبابات والمدافع .. وارتفعت النيران ، وخيل إلى الإنجليز أن روميل يحرق إمداداته استعدادا للانسحاب . وتسربت هذه الأخبار إلى القاهرة وأكدها جواسيس بريطانيا فى الصحراء .. وكانت القاهرة فى هذه الفترة تعج بكثير من ضباط أركان حرب البريطانيين الذين يأتون إليها لقضاء أجازاتهم .

وعلى النيل وفى إحدى العوامات كانت موسيقى الجرامافون مازالت تعزف الألحان حتى الساعة الخامسة صباحا .. إن هذه الأنغام تنبعث من عوامة الراقصة حكمت فهمى التى تستضيف كبار ضباط أركان حرب بريطانيا .. وفجأة صاحت الراقصة الحسناء :

إن روميل ينسحب .. يجب الاحتفال بذلك ، وألقت الراقصة الجميلة بكأس الشمبانيا على الحائط الخشبى لجدار العوامة وهى تقول « إنه النصر » ولكن النصر لمن ؟.. لم يكن هناك أى شك فى أذهان الضباط الإنجليز فى أنه النصر للحلفاء لقد نجحت خدعة

الفيلد مارشال روميل .. وسهلت له أنه تمكن من عبور الحدود المصرية متوجها بمدرعاته بأتجاه الشرق .. وأصبح الموقف العسكرى خطيرا ، فقد تمكنت قوات المحور من الزحف حتى أنها وصلت إلى مشارف مرسى مطروح .. وبدأت طلائعها تتقدم نحو العلمين .. وأمام هذا الموقف قرر الأحرار ضرورة إرسال مندوب عنهم لمقابلة روميل ليشرح له استعدادهم للتعاون معه ضد الإنجليز شريطة أن يمدهم بالسلاح ولقد كان هذا القرار من جانب الخلية الأولى للضباط التى سبق الإشارة إليها والتى كانت تضم أربعة من ضباط الطيران وضابطا من سلاح الإشارة هو أنور السادات . وكان القرار هو أن يذهب هذا المندوب إلى روميل بإحدى الطائرات الحربية .

وهنا وقع أدق خلاف بين أعضاء هذه الجماعة التى كما ذكرت تضم أربعة طيارين .. كل منهم يريد أن يكون هو هذا المندوب الذى يقوم بهذه المهمة واشتد الخلاف بالذات بين وجيه أباظة وأحمد سعودى .. وكان لابد من حسم أى خلاف تفاديا لحدوث إنشقاق فى الصفوف واقترح أنور السادات يومها أن تجرى قرعة بين الاثنين .. فكانت النتيجة أن يقوم وجيه أباظة بالمهمة .. وفى مساء دلك اليوم سافر أحمد سعودى إلى الاسكندرية لزيارة عائلته وجلس فى شرفة منزله يتطلع إلى المدينة التى تعج بالظلام نتيجة الحرب الدائرة .. وسرح مع أفكاره وحلق فى السماء التى تعتبر ميدان عمله .. ومن خلال أحد النجوم التى تضىء المكان وجد أنه أحق إنسان بالمهمة السرية إلى روميل سيما وأنه الشخص المسئول عن عمليات الإرهاب .. وفجأة .. سمع أزيز الطائرات التى تحلق فى سماء الاسكندرية وعرف من صوتها بحكم عمله أنها لقوات المحور .. وفى

لحظة حولت هذه الطائرات مدينة الاسكندرية إلى كتلة ملتهبة من النيران .. وشاهد أحمد سعودى ذلك وهو جالس .. واشتعلت فى قلبه مثل هذه النيران وصمم على ألا يقوم بهذه المهمة أحد غيره ، وقام على الفور وودع أسرته وعاد إلى القاهرة حيث عرض الأمر مرة ثانية على رفاق الكفاح الذين وافقوا على قيامه بالمهمة الموكولة إلى وجيه أباظة .. وفى الموعد المحدد خرجت من مطار ألماظة الحربى إحدى الطائرات التابعة لسلاح الطيران المصرى وكان يقودها الطيار أحمد سعودى متوجها صوب الصحراء الغربية ليقوم بمهمته الخطيرة .. وفجأة ظهر لسعودى فى الجو خمس طائرات أمريكية وانجليزية لمطاردته ، واستبكت معه فى معركة جوية .. ولقد أعطى سعودى هذه الطائرات درسا قاسيا .. ولم يعد من الطائرات الخمس سوى طائرتين فقط ولقد شهد طياروها بالقدرة الفائقة التى يتمتع بها الطيار المصرى وكيف أنه تمكن من إسقاط ثلاث طائرات ثم الهرب إلى طريق مرسى مطروح .

هنا صعق الإنجليز .. وبدأوا يصبون غضبهم على قائد الدورية المنوط بها حراسة المطار الذى خرجت منه الطائرة .. وأمام مجلس عسكرى وقف الطيار ثان حسن إبراهيم ، نائب رئيس جمهورية مصر الأسبق ، وبعد مداولات بين أعضاء المجلس قرروا رأفة به الحكم بتنزيله عن زملائه .. وأصبح بالنسبة للترقيات آخر دفعته ..

نعود إلى أحمد سعودى الذى تمكن من الإفلات بعد أن أعطى الطائرات الإنجليزية والأمريكية درسا فى فن القتال لن ينسى .. لكن ماذا كان مصيره بعد ذلك ؟ فى المساء أذاعت إذاعة محطة برلين بلاغا عسكريا قالت فيه : لقد اسقطت مدفاعنا المضادة للطائرات

اليوم طائرة قتال إنجليزية كانت قد اقتربت من مواقعنا فى مرسى مطروح .. وقتل الطيار .. وهكذا ذهب أحمد سعودى ضحية وذهب سره معه ، ولم يكن الألمان يعرفون حقيقة حضوره إليهم .. وعلى الفور عقدت مجموعة الأحرار اجتماعا لها ولكن هذه المرة نقص عددهم واجتمعوا بدون أحمد سعودى المسئول عن عمليات الإرهاب .. وقرروا إعادة الكرة مرة ثانية والاتصال بروميل .. وأرسلوا هذه المرة طائرة أخرى قائدها الصول طيار رضوان ، ولكن هذه المرة عن طريق واحة سيوة حيث قام بمهمته غير أنه بعد هزيمة قوات المحور فى أوروبا ذهب إلى برلين حيث قبض عليه بعد انتهاء الحرب وقرر المجلس العسكرى الحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما .. عقابا له على هروبه إلى قوات المحور .

●●●



صفحات
من حيــاة
أنـور الســادات

إن روميل يحتاج إلى معلومات وثيقة عن القاعدة البريطانية فى مصر، لأن استراتيجيته تعتمد على الخداع والمفاجأة، وأى معلومات مهمة نرسلها له تساوى أكثر بكثير من عشرين دبابة.

« الأميرال كناريس »
رئيس المخابرات الألمانية

الفصل الثالث

الطابور الخامس وهروب عزيز المصرى



الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل .. ونسيم عليل يهب من النيل فيشاهد المرء أغصان الأشجار وهى تتراقص فى وسط الليل الحالك الذى تزينه النجوم .. وجانب النيل أقيم أشهر مرقص عرفته مصر فى الأربعينات .. إنه ملهى الكيت كات والذى صنع من الأخشاب وهو مكشوف للسماء باستثناء البار الذى يدور فى نصف دائرة حول المرقص المسقوف بالإضافة إلى المسرح .

إن روعة هذا الملهى كانت تقابل المرء منذ اللحظة الأولى للتفكير فى دخوله .. فعلى بابه حراس متأنقون فى أبهى الحلل .. يستقبلون القادمين من رواد الملهى باحترام يفوق الوصف .

ولقد كان الكيت كات من أرقى الأماكن فى ذلك الوقت ورواده من ذوى النفوذ والشخصيات البارزة .. أما النساء اللاتى يأتين إليه .. فقد كن يتنافسن فى أختيار ملابسهن بطريقة جعلت المكان أشبه بليالى ألف ليلة وليلة .. فقد كان الجميع يجدون فيه المتعة الكاملة .. وكانت مصر قد اتخذت موقفا محايدا بالنسبة للحرب العالمية ، فى الوقت الذيت كانت فيه قاعدة بريطانية لحرب شمالى أفريقيا .. ومن هنا كان المرء يرى أن الحرب والسلام يحكمان مصر فى وقت واحد سيما فيما يخص الأعمال التجارية .. وحينما يأتى الليل يتوجه بعض الضباط فى ثيابهم المدنية يبحثون عن الترويح عن النفس ، وكان أبناء

الباشوات وزصحاب الأملاك والتجار يذهبون إلى النوادى الليلية ينفقون فيها ببذخ مع الاستمتاع بشرب الويسكى والشمبانيا .. وكانت الحديقة المكشوفة للهى الكيت كات مزينة بالمصابيح ذات الأنوار الخافتة .. وعلى أنغام التانجو الحالمة والفوكس تروت الحية ، كانت الموسيقى تنبعث إلى الأفئدة وتدعو الجميع إلى حلبة الرقص .. إن أجمل راقصات الشرق فى هذه الفترة كانت فى هذا الملهى فهى ترقص كل ليلة فيه .. وتتلقى عند ظهورها مئات الزهور التى يقذفها بها الحاضرون مع عاصفة من التصفيق الحاد .. إنها راقصة مصر الأولى « حكمت فهمى » التى كانت تنتقل كالملكة وسط رعاياها .. وكان معجبوها أسطورة من أساطير هذا الزمان غير أن اهتمامها كان منصبا فقط على شاب ظهر حديثا فى الأفق منذ فترة قصيرة ، لقد كان شابا غنيا ذلق اللسان .. وكان واضحا أمام رواد الملهى أنه يريد أن يكتسب صداقة ملكة الرقص .

إن وراء هذا الشاب قصة .. فلم يكن مصريا ولا عربيا .. بل كان جاسوسا ألمانيا قدم إلى القاهرة بعد رحلة كانت أشبه بالمغامرات وحمل معه جهاز إرسال .. وضعه داخل عوامة على النيل وانتحل « ابلر » شخصية الثرى المصرى حسين جعفر ، وصحب معه ساند ستيدت الذى قام بتمثيل الشاب الإيرلندى الطائش .

ووراء « ابلر » قصة قديمة بدأت منذ حضوره إلى مصر مع أمه الألمانية التى تزوجت المستشار صالح جعفر ، وأراد الزوج المصرى أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة ، وأعطاه اسما مصريا وأعطاه فوق ذلك لقب أسرته ولكنه انحرف .. واتخذ من مصاحبة الأوغاد وحياة الليل فى المراقص والحانات ونساء الطريق أسلوبا لحياته وهنا طرده الزوج من حياته وعاد الشاب إلى وطنه .. وهناك جند لحساب الجيش

الألمانى وعاد إلى مصر يحمل آلاف الجنيهات ليعمل لحساب النازى وأصبح حسين جعفر من رواد ملهى الكيت كات .. وفى إحدى الليالى امتلأ الملهى .. وفى مكان بعيد عن النظرات كان يجلس إلى إحدى الموائد مجموعة من الشبان المصريين وكان الهمس يدور على أنهم ضباط مصريون يهيئون الفرصة من أجل الثورة ضد المحتل الغاصب والأحزاب المتعاونة مع الإنجليز .

وفى أثناء البرنامج الحافل بالرقص والطرب جاء بعض أصدقاء هؤلاء الشبان ومعهم نسخة من إحدى الصحف التى تصف بدقة سقوط « طبرق » فى أيدى الألمان وقرأ أحدهم العناوين المثيرة بصوت مرتفع ووقع النبأ على الذين سمعوه كالصاعقة .

وارتفع همسهم إلى أصوات عالية :

– لقد استولى روميل على طبرق فى يوم واحد .. والجيش الثامن يفر أمام الألمان الذين يطاردونه عبر الحدود المصرية .. إنهم قادمون إلى هنا إلى القاهرة .

وكان يجلس فى المائدة المجاورة لهم أحد الضباط الإنجليز الذى وقع الخبر عليه كالنار .. وتابع شاب آخر حديثه :

قد يصل الألمان إلى هنا بعد غد .. ويجلس روميل باشا مع ضباطه يشربون الويسكى هنا على هذه المائدة .. « وأخذ يشير إلى المائدة التى يجلس عليها الضابط الإنجليزى » وفى ذلك الوقت وفى طبرق كانت تدور معركة .. وصلت إلى ذروتها بين قوات روميل والجيش الثامن الإنجليزى .. وقاد روميل بنفسه مجموعة القتال التى اشتركت فى عملية الاختراق الفاصلة التى قام بها الفيلق الألمانى .. وتمكن بما أوتى من خبرة سابقة كإخصائى قديم فى الألغام من أن يزيل من طريق الدبابات « بيض الشيطان » وهو الاسم الذى كان

يطلق على الألغام المزروعة فى الرمال .

وتمكن روميل من أن يضرب القلعة مباشرة فأضرمت فيها النيران.

ومن على ضفاف النيل كان الإنجليز يراقبون طبرق وهى فى سكرات موتها الأخيرة .. ودخل روميل القلعة بعد الهزيمة الساحقة التى منى بها الجيش الثامن ، إن انتصار طبرق لم تكن فى ذهن روميل سوى البداية .. حيث كان هدفه الأساسى هو النيل .. كما أوضح ذلك الفريق عزيز المصرى لقوات إنجلترا .. وطارت هذه الأنباء إلى القاهرة .. هزيمة تامة وشاملة لجيش بريطانيا العظمى .. كما قلت كانت القاهرة تسهر كل ليلة حتى الصباح على أنغام الموسيقى.. وكان الشبان يرقصون على أشهر أغنية فى هذا الوقت ومطلعها «الشمس على ميعاد مع القمر » ومع أن الوقت كان ليلا .. إلا أن القمر لم يكن فى السماء .. ومع ذلك كان الجميع يتابعون كلمات الأغنية وهم يعتقدون أن القمر ساطع فى السماء .. وهذا ما هيأته لهم الخمر .

والسر فى أن ضباط بريطانيا اتخذوا من ملهى الكيت كات مكانا للهوهم يعود إلى أن هذا الملهى كان مستوى الفتنة والجمال فيه يفوق الوصف . بالإضافة إلى وجود ملكة الرقص حكمت فهمى التى كانت تعتمد على هؤلاء الضباط فى مهمتها إذ تستقى منهم الأخبار وتحركات الجيش الإنجليزى وذلك عن طريق فتيات الملهى اللواتى كن يعملن لحسابها .

وبينما الجميع فى نشوتهم .. والكؤوس ترتفع إلى الشفاه الملتهبة مع أنغام الموسيقى الصاخبة انفجرت قنبلة فى وسط الملهى .. ولم يكن لهذه القنبلة شظايا لأنها لم تكن قنبلة ناسفة بقدر ما كانت خبرا

وقع على الجميع كالصاعقة .. إن روميل يزحف إلى القاهرة .. وبدأت المناقشات تدور على الموائد ، المصريون فى نشوة لهذه الأنباء ، والبريطانيون فى ذعر ارتسم على وجوههم .

وفجأة صاح أحد الشبان المصريين :

- إلى الأمام يا روميل .. النيل يرحب بك .

ووقعت هذه الكلمات على ضباط صاحبة الجلالة بريطانيا العظمى كالخناجر المسمومة ، وانتفض أحد الضباط الإنجليز الذى يرتدى ملابسه المدنية من هول المفاجأة ، لقد كان هذا الضابط رئيسا لإدارة المخابرات البريطانية فى القاهرة .. وترك حسين جعفر مائدته وتوجه إلى المنضدة التى يجلس عليها رئيس المخابرات البريطانية وقال لهذا الرجل الذى اتخذ من مائدته مكانا للجلوس :

- أخبار غير مطمئنة .

وأجاب رئيس المخابرات الإنجليزى :

- إنها أخبار غاية فى السوء .

وتابع حسين جعفر حديثه قائلا :

- لكن الجيش الثامن لا يزال موجودا وسليما .. نعم تم أسر ٣٠ ألف جندى فى طبرق ، لكن مصر بها الآلاف من جنود بريطانيا ، ثم هناك الجيش العاشر ولا أتصور أنه سيبقى فى سوريا ، ولابد من حضوره للدفاع عنا هنا ، وأنتم بالطبع لن تتخلوا عن القاهرة وتتركوها لروميل ليستولى عليها .

ولم يستطع رئيس المخابرات أن يلجم لسانه فقال :

- تستطيع أن تطمئن إلى أن الجيش العاشر لن يقف فى سوريا متفرجا عندما يصل روميل ..

وارتسمت ابتسامة على وجه حسين جعفر وقال بخبث :

- أرجو ألا تنسى أن لدينا الجيش المصرى هنا .

وقال الضابط البريطانى معلقا كما لو كان يمزح :

- الجيش المصرى ؟.. نعم إنه فى المائدة التى خلفنا .. انظر .. كانت مجموعة من شباب الجيش المصرى تجلس على إحدى الموائد قد وضعوا عليها الصحف التى حملت عناوينها الزحف إلى القاهرة .. وكانوا يتحدثون فى سرور وفخر عن انتصارات روميل وهزيمة الجيش الثامن الذى فر أمام هول نيران الفيلد مارشال ومدرعات الفيلق الأفريقى ، وارتفع همسهم إلى أصوات عالية ، ووسط الهمس واللغط والضحكات الصادرة من بعض الأركان ، والتحام كؤوس الشمبانيا مع بعضها البعض دقت الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل .. وهنا انتاب الجميع صمت مطبق .. فقد حان الوقت لتقديم أروع فقرة فى برنامج الليلة .. إنها الراقصة حكمت فهمى ، وهنا قال رئيس المخابرات البريطانية ...

- إنها من عجائب الدنيا ، ولا تقل روعة عن حدائق سميراميس المعلقة .

وعلى المسرح ظهرت أجمل راقصة عرفتها القاهرة .. بل إنها كانت أروع نموذج للجمال الشرقى ، فقد كان رقصها ذا حركات متجانسة هى لها قوام رائع ، عينان واسعتان وملامحها عربية أصيلة ، بل إن الصحف كانت تتحدث عنها بأنه لا يوجد منافس لها فى الشرق ولا فى برلين أو ألاسكا أو حتى فى الفولى برجير أو فى كازينو دى بارى بباريس .

ولم تكن حكمت فهمى راقصة عادية فحسب ، بل أيضا عميلا مهما لقلم المخابرات الألمانى وأحد مصادره الموثوق فيها .. وفى هذه الليلة صاح مجموعة الشبان المصريين بقولهم :

- الليلة ليلة طبرق .. عاوزين منك رقصة لها يا حكمت ..

وفى هذا الملهى طفت إلى السطح مشكلة أمة تئن من أعباء المستعمر الغاصب .. فقد كان أمل الشعب المصرى فى هذه اللحظة هو روميل ..

وتحولت شوارع القاهرة والمقاهى إلى ندوات اجتمع فيها أبناء الشعب المصرى يناقشون الرأى ويتناقلون الأنباء .. وعلى ضفاف النيل وفى طرقات القاهرة خرج الآلاف من شباب الجامعات والمدارس يهتفون « إلى الأمام يا روميل » وظهرت فى الأفق آراء حرة تنادى بتحطيم جيش صاحبة الجلالة وأعلنت هذا الرأى مجموعة فدائية صغيرة من تكنات الجيش المصرى ورجال الدين ومجموعات للمقاومة هدفها تحرير مصر من السيطرة الاستعمارية .

لقد استمر اتصال تلاميذ عزيز المصرى به حتى بعد أن ترك منصبه وخاصة مجموعة الضباط الأحرار التى لاحظت أن الأب الروحى لهم قد دفع الثمن برفضه اشراك الجيش فى معركة لا هدف منها ، بل الأكثر من ذلك أنهم أساءوا إليه باعتقاله أكثر من مرة .. وها هو يعطى إجازة إجبارية .

وبدأ الفريق المصرى يفكر فى وضعه .. إنه لم يتعود هذه الحياة التى أجبر عليها ولابد من أن يتحرك ليشارك فى النضال ضد المستعمر الانجليزى البغيض ، غير أنه وجد أن الساحة المصرية لم يعد له فيها مجال فى الوقت الحاضر .. لذلك فقد صمم على أن يترك مصر ويسافر إلى العراق للانضمام إلى رشيد عالى الكيلانى .

وفى هذه الفترة حضر إلى مصر ضابطان ألمانيان من الفيلق الألمانى الأفريقى وتمكنا من الإتصال بالفريق المصرى عن طريق أنور السادات حيث اتفقا معه على طريقة لتهريبه إلى المغرب ، وترك لأنور

السادات مهمة وضع خطة تهريب عزيز المصرى إلى ليبيا لينضم إلى قوات روميل .

والجدير بالذكر أن خطة تهريب الفريق المصرى بمساعدة الضباط المصريين ليست وليدة هذا الاتصال .. ولكنها كانت موضوعة من قبل فى بودابست ، فقد كان الألمان يعرفون جيدا أن عزيز المصرى عدو لدود للإنجليز ، وهم الذين فصلوه من رئاسة أركان حرب الجيش المصرى ، وكان يأمل أن تنتصر ألمانيا فى حربها لأن هذا الانتصار قد يؤدى إلى تحرير مصر من النفوذ البريطانى فتحصل على استقلالها وعلى ضوء ذلك فقد اتخذ فى برلين قرار بتشكيل جماعة فدائية من رجال الأسطول الجوى العاشر الألمانى للاتصال بعزيز المصرى حتى عن طريق الخطف إذا لزم الأمر .. وتم الاتصال بالسفير الهنغارى فى القاهرة ليسهل الاتصال بالفريق المصرى .. كما أسند إليه السفير أيضا مهمة نقل جهاز ارسال إلى القاهرة ليمكن للفدائيين استخدامه ليكون همزة الوصل بينهم وبين قيادتهم .

ومن بودابست إلى القاهرة نقل السفير الجهاز فى حقيبته الدبلوماسية حيث قام بتسليمه إلى أحد القساوسة النمساويين الذى كان يعمل فى خدمة المخابرات المجرية وفى الوقت نفسه كان أحد خدام كنيسة سانت تريزا بشبرا بالقاهرة .

ولقد اتخذ من كنيسة سانت تريزا مكانا أمينا لوضع جهاز الارسال فيها بل إن القسيس أمعن فى التفنن فوضع الجهاز أسفل الهيكل المقدس .. وكانت الرسائل ترسل فى وقت الصلاة .. وبينما كانت الأجراس تدق فى الكنيسة للصلاة ، كان عامل اللاسلكى هو الآخر يدق رسائله تحت الهيكل .

ذكرنا أن عزيز المصرى التقى بضابطين من الفيلق الألمانى

للاتفاق على طريقة خروجه من مصر عن طريق أنور السادات ، وقد اقترح الفريق المصرى أن تلتقطه غواصة ألمانية من بحيرة البرلس فى وسط دلتا النيل ، إلا أن هذا الاقتراح لم يكن عمليا ، واستقر الرأى على أن يتم نقله بواسطة إحدى الطائرات الألمانية من مكان يتفق عليه فى الصحراء .

ولقد وضع الألمان فى خدمة الباشا طائرتى قتال ، وقد حدد مكان اللقاء بجوار الجبل الأحمر على طريق الواحات المصرية ، وتم الاتفاق على أن يصل الفريق المصرى إلى نقطة المقابلة بواسطة سيارة قبل غروب الشمس بساعة ثم يقوم برفع علم ليوضح اتجاه الريح وهنا ستهبط إحدى الطائرات بينما تبقى الطائرة الثانية فى الجو للحراسة، وبينما الطائرتان على استعداد للإقلاع وصلت رسالة من الكنيسة إلى درنه تقول « إن سيارة عزيز المصرى أصابها حادث ولا يمكنها الوصول فى الوقت المحدد وإن العملية تأجلت ليوم السبت ١٧ مايو ١٩٤١ » .

وأراد الفريق المصرى أن يتجنب أى معوقات قد تحدث فى الموعد الثانى الذى حدد لهروبه واستقر رأيه على أن تكون وسيلة المواصلات هذه المرة إلى الصحراء عن طريق الجو وبإحدى الطائرات .. وأبلغ هذه الرغبة إلى أنور السادات الذى نقلها إلى رفاق الكفاح .. ودرست المجموعة رغبة الباشا ويومها تم تكليف عبد اللطيف البغدادى بوضع خطة هروب عزيز المصرى بواسطة إحدى الطائرات التى يملكها سلاح الطيران المصرى من ذات المحركين .

وفى الساعات الأولى من فجر السبت ١٧ مايو وصلت إحدى السيارات الأجرة إلى مطار هليوبوليس وعند البوابة تم إيقاف السيارة لمعرفة من فى داخلها ، وسمح الحارس للسيارة بالمرور حيث

ظهر بداخلها أحد ضباط سلاح الطيران وتوجهت السيارة إلى مكان قريب من إحدى حظائر الطائرات حيث تم نقل بعض الحقائب منها بواسطة ضابط عظيم المطار فى تلك الليلة الطيار أول حسين ذو الفقار صبرى الذى كان فى انتظار وصول السيارة .. وهبط الفريق المصرى من السيارة وأدى له الضابط الطيار حسين ذو الفقار صبرى التحية العسكرية .. ثم توجه معه الفريق المصرى إلى إحدى الطائرات التى كانت معدة للإقلاع وذهب الطيار إلى برج المراقبة ليقدم نفسه إلى قائد البرج وهو إنجليزى ، ورغم أنه شك فى الأمر إلا أن الطيار تمكن من الطيران وحلقت الطائرة ذات المقاعد الأربعة والتى يقودها طياران فى الجو ، واتخذت طريقها نحو النيل وهى تحمل الفريق عزيز المصرى والضابطين حسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف .

كانت بعض وحدات الأنوار الكاشفة تعمل فى هذه الليلة للبحث عن الطائرات ، وما كادت الطائرة ترتفع فى الجو حتى شاهدتها نقطة مراقبة المدينة التى أخبرت غرفة العمليات بوجود طائرة فى الجو وعلى الفور أعطيت الأوامر بإطلاق صفارة الإنذار والاستعداد لاحتمال وقوع غارة جوية على القاهرة وحاول الطياران مضاعفة سرعة الطائرة ولكنهما فشلا حيث إنه تبين حدوث خلل فى المحرك وأن أنابيب الزيت قد سدت ، وفى لحظات سريعة أدركوا الخطر الذى يحيق بالطائرة ومن فيها ، وعلى الفور كان لابد من وجود مكان يصلح للهبوط وعلى بعد ٢٠ كم من القاهرة وقرب مدينة قليوب هبطت الطائرة هبوطا اضطراريا واصطدمت بأسلاك التليفون وبعض الأشجار كما غاصت عجلاتها بالأرض الرخوة وتحطمت بعض أجزاء من أجنحتها .

وأدرك عزيز المصرى ومن معه أنهم أصبحوا عرضة للاعتقال ، ولابد من الاختفاء وعلى الفور توجه الفريق المصري إلى نقطة الشرطة وهناك سأل عن ضابط النوبتجية وعرف أنه كان من ضمن تلاميذه حينما كان مديرا لمدرسة البوليس وطلب أن يقابله حيث أخبره أنه كان فى حفل عرس فى مدينة ميت غمر وأن سيارته تعطلت فى أثناء العودة وأنه يرغب فى الحصول على سيارة يعود بها إلى القاهرة .

وهنا أبدى الضابط أسفه الشديد لعدم وجود سيارات سوى «البوكس » غير أن الفريق المصرى شكره وقال له إنها يمكن أن تؤدى الغرض .

وفى الطريق التقت سيارة البوكس بالضابطين وطلب عزيز المصرى من سائق السيارة سؤالهما عما يرغبان ، وادعى الباشا أنه لا يعرفهما ولما عرف أنهما يريدان الذهاب إلى القاهرة دعاهما إلى الركوب وإلى قلب القاهرة وصلت السيارة بحملها ونزل منها ركابها ، كل فى طريقه لإيهام السائق أنه لا علاقة لهم ببعض .. ثم التقوا من جديد واستقلوا أكثر من سيارة نقلتهم إلى الصحراء عن طريق مدينة الفيوم للاختفاء .

وفى ذلك الوقت كانت الطائرتان الألمانيتان فى المكان المتفق عليه واستمر طيرانهما خمس عشرة دقيقة عادتا بعد أن شاهدتا مآذن القاهرة مع بداية طلوع الفجر .. وخرجت من كنيسة سانت تريزا رسالة تقول : إنه تم القبض على الباشا .. بعد أن سقطت الطائرة قام شيخ الخفراء بإبلاغ العمدة الذى أبلغ بدوره المأمور ومدير المديرية .. وعلى الفور انتقل رجال الإدارة للتحقيق بعد إبلاغ الجهات العليا فى القاهرة ، ووصل أحد الضباط الإنجليز ، وقام أحد المصريين المتقدمين بالسن وهو من الأحرار بتمثيل دور عزيز المصرى ليعطيه

فرصة واسعة من الوقت للهروب والاختباء فى أمان .. وكما عودتنا حماقة المحتل قبض على هذا المواطن .. ولم يكتشف الإنجليز خطأهم إلا بعد مرور وقت كبير ، وهكذا فشلت المحاولة الثانية لتهريب الفريق المصرى وتحطمت آمال المخابرات الألمانية وخطتها التى وضعت فى بودابست بمعرفة « المازى » وهو خبير فى الصحراء وعمل لعدة سنوات فى خدمة الجمعية الجغرافية المصرية وساهم فى وضع خطة هروب الباشا .. وشعر المازى بحيرة كبيرة سيما وأنه يعلم تماما مقدرة هذا القائد الفذ الذى يعتبر ألد أعداء بريطانيا بالاضافة إلى ما يتمتع به من حب داخل الجيش المصرى واحترام الضباط له .

وانتقل التحقيق فى حادث الطائرة إلى القاهرة .. وهناك بدأ الإنجليز يعملون لوضع أيديهم على مدبرى خطة هروب عزيز المصرى.. وبدأت حملات الاعتقال وخاصة بين ضباط الجيش وفى القوات الجوية .. كما بدأت المخابرات العسكرية بمساعدة ضباط صاحبة الجلالة فى سلسلة من التحقيقات المستمرة . وحضر بديل الفريق عزيز المصرى للتحقيق معه أمام الضباط الإنجليز ووجه إليه الضابط وكان برتبة ميجور الأسئلة التالية :

– اسمك ؟

– عزيز المصرى .

– من الذى كان يقود الطائرة ؟

– أى طائرة ؟ « قالها وهو يبدى دهشته » .

– الطائرة التى سقطت بك .

– لم تسقط بى طائرة .. لأنى لم أكن فى طائرة .

وهنا صاح الضابط الإنجليزى :

– اتهزأ بى ؟.. ألم يلق القبض عليك وأنت بجوارها ؟

– حقا كنت بجوارها .. ولكن لم أكن بداخلها .

وسأله الضابط الإنجليزى فى استفسار :

– ألست أنت الفريق عزيز المصرى ؟

– بالتأكيد أنا هو عزيز المصرى .

وهنا أدرك الضابط المرافق للميجور أن ذلك الرجل ليس عزيز المصرى ، بل هو شبيه له ، واكتشف الميجور البريطانى غباء قيادته فى هذه اللحظة ، وبدأ البحث عن عزيز المصرى فورا .. واستمر التحقيق حتى وضحت معالم الخطة التى لم تنجح ، وتمكنت المخابرات العسكرية من وضع يدها على المتهمين وأصدرت الأوامر بالقبض على اليوزباشى محمد أنورالسادات وإيقافه عن العمل مع مجموعة أخرى من الضباط ، وعلى الفور توجهت قوة من البوليس الحربى إلى سلاح الإشارة وقامت بتنفيذ الأوامر .

وصدر عن الحكومة بيان جاء فيه :

« قام من مطار ألماظة اثنان من ضباط سلاح الطيران الملكى المصرى ومعهما ثالث بإحدى طائرات السلاح المذكور ، وقد اضطرت بفضل وسائل الرقابة الجوية إلى الهبوط فاصطدمت بسلك التيار الكهربائى الممتد بين قها وقليوب فسقطت فى حديقة ، وعلى أثر هذا السقوط حاول الركاب الثلاثة الفرار وقد ثبت أنهم عادوا إلى القاهرة واختفوا ، والبحث جار عنهم وقد تبين من الحقائب والأوراق والصور المضبوطة ومن أدلة عديدة أخرى شخصية الركاب الثلاثة وأن ثالثهم هو عزيز المصرى باشا ، كما تبين من القرائن والأدلة أن الفعل الذى ارتكبوه يقع فى باب الجنايات المضرة بأمن الدولة وسلامتها ، وقد تولى التحقيق النائب العام بالاشتراك مع السلطات المختصة المدنية والعسكرية .

وتعلن الحكومة أنها ستمنح مكافأة قدرها ألف جنيه لمن يعاون أو يرشد أو يدلي ببيانات تساعد في القبض على عزيز على المصرى باشا والطيار أول حسين ذو الفقار صبرى والطيار أول عبد المنعم عبد الرؤوف أو أحدهم .

وتنذر الحكومة كل من يأوى أو يخفى هؤلاء الأشخاص الثلاثة أو أحدهم أو ساعد على فرارهم وكذلك كل من علم بمقرهم ولم يبلغ عنهم ، تنذر هؤلاء جميعا بأنهم واقعون تحت طائلة العقاب ، وقد أمرت الحكومة بنشر صورهم لتيسير التعرف عليهم .

وقد أصدر وزير الدفاع قرارا بوقف الضابطين الهاربين أما التهم التى وجهت إليهم فكانت:

- سرقة الطائرة بالنسبة إلى الهاربين الثلاثة .

- دخول المطار الحربى خفية إلى عزيز المصرى باشا والضابط عبد المنعم عبد الرؤوف لأن الضابط حسين ذو الفقار صبرى كان ضابط المكان المنوب فى ليلة الهرب .

- الفرار من جيش جلالة الملك أثناء الخدمة بالنسبة إلى الضابطين .

- الخيانة العظمى أو الإضرار بأمن الدولة وسلامتها بالنسبة للثلاثة .

اعتقل أنور السادات ونزل ضيفا على إحدى كتائب سلاح المشاه حيث وضع تحت حراسة نائب مدير المخابرات وضابطين بريطانيين وفى إدارة المخابرات بدأت سلسلة من التحقيقات ورفض أنور السادات الكلام وقال بصوت عال أمام اللجنة التى تتولى التحقيق معه :

لا يمكن أن أحاكم أمام ضابط إنجليزى ، أنا ضابط مصرى ،

والقانون يقول أنى لازم أتحاكم أمام ضابط مصرى ، وحتى لو ملك مصر أعطاهم هذا الحق فإننى سأرفض المحاكمة أمامهم .. تقدروا تضربونى بالنار ، لكن مستحيل أهزأ البدلة اللى على .

وخرج من الحجرة بعد أن سمع الكثير من التهديد والوعيد من نائب رئيس المخابرات ، واستمرت محاكمة أنور السادات لمدة شهرين حاول خلالهما رئيس المخابرات ونائبه معه بكل الوسائل أن يعرفا منه باقى الأشخاص الذين اشتركوا معه وذلك عن طريق اتباع اسلوب الوعيد مرة وأسلوب الإغراء مرة أخرى ولكنهما لم يتمكنا من الوصول إلى شيء .

لقد كان صوت أنور السادات الذى ارتفع وهو يعلن رفضه قبول التحقيق معه أمام ضابط إنجليزى حافزا لزملائه الذين قبض عليهم أيضا للتحقيق معهم على أن يرفضوا جميعا مبدأ أن يتولى ضابط بريطانى التحقيق معهم .. وهنا انتابت القيادة العسكرية البريطانية فى القاهرة حالة من الذعر نتيجة موقف الضباط المصريين وعدائهم الواضح ، وخوفا من أن يتأزم الموقف قررت القيادة انسحابها من عمليات التحقيق تاركة ذلك للمخابرات المصرية مع متابعة القيادة العسكرية البريطانية لسير التحقيق ونتائجه عن قرب خاصة أن التحقيق الذى يدور بسبب مساعدة الفريق عزيز المصرى على الهرب وأن هذا الضابط الكبير يتمتع باحترام وحب الجميع وأن متابعة التحقيق من جانب القيادة البريطانية قد يحدث رد فعل داخل الجيش المصرى .

كانت هذه هى المرة الأولى التى يعتقل فيها أنور السادات ويومها شعر بمرارة القيد وأخذ يفكر طويلا .. إن عددنا قليل ، ولابد من أن تتوسع القاعدة داخل تنظيم أشمل وأوسع وبعد تفكير عميق وجد أن

ذلك لن يتوافر إلا إذا أمكن إيجاد رأى عام قوى بين مختلف الهيئات ومن خلال هذا التنظيم يمكن تغيير النظام القائم فى البلاد .

إن هذه الأفكار دارت فى ذهن السادات وفى ذهن مئات آخرين من شباب مصر ، ولكن كان هناك شىء مهم يدور فى أذهان هؤلاء ، وهو عدم وجود الثقة بين النفوس خصوصا فى مثل هذا الجو الفاسد الذى تسيطر عليه المخابرات السرية والبوليس السياسى الذى ينشط لتعقب أى حركة للأحرار .

وكان لابد من تجنيد عناصر من داخل الجيش تتحمل عبء تحرير هذا الوطن .. وأصبحت هذه المرحلة من أدق مراحل الكفاح والتنظيم لم تكن مرحلة سهلة فقد اعترضتها عقبات كثيرة كان أهمها كما ذكرت عدم الثقة بين النفوس فالشخص لا يثق بنفسه ولا بزميله ، ولكن هذا الشعب لم يستسلم فى يوم من الأيام للغزو الأجنبى ، ولا للطغيان ، وحين كان يغلب على أمره من قوى متفوقة عليه كان يعمد من فوره إلى المقاومة الشعبية فى تصميم وإصرار حتى ينتصر فى آخر الأمر على أعدائه .. وضباط الجيش هم أبناء هذا الشعب الذى يسجل له التاريخ سجلا حافلا بالكفاح .. إذن لابد من البداية .. ومن داخل معتقل كتيبة المشاة وجه السادات دعوته إلى زملائه من الضباط الذين كانوا يتولون حراسته .. فقد كان يتولى ضابط من رتبته الحراسة كل ٢٤ ساعة ، ثم يحضر ضابط آخر لاستلامه لمدة ٢٤ ساعة أخرى .. إذن فهو يرى كل يوم وجها جديدا .. وكان عليه دراسة حالة كل ضابط ثم بعد ذلك يتحدث معه عن مصير هذا البلد المظلم وكيف أن حياته ستكون على أيدى أبنائه من الضباط الذين يؤمنون بالحرية حيث إن هذا الوطن لن يحرره تجار السياسة ولا الأحزاب وهكذا .. كانت دعوة السادات لتجنيد أحرار جدد لصفوف تنظيمهم .

واستمر الاعتقال تحت إرهاب المخابرات العسكرية التى يئست من محاولاتها معه لمعرفة أى شىء عن الجماعة التى ينتمى إليها أو نشاطها أو أفرادها .. واستخدمت معه كل الوسائل والطرق .. وفى النهاية لم يحصلوا منه على شىء .. كان أنور السادات قد التقى فى منقباد بجمال عبد الناصر .. وكانا من ضمن الضباط الذين حصلوا على نجمة الملازم من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٤٠ ، ولقد تأثروا جميعا تأثرا عميقا .. بل إنهم كانوا مرتبطين بالواقع الاجتماعى المصرى ، ولكنهم فى المجال الايديولوجى سيما فى مجال الدين والسياسة مازالوا متأثرين بالأنظمة الموجودة فى البلاد من أحزاب مما أوضح لهم بجلاء أنهم يفتقرون إلى برنامج واضح .

ويصف أنور السادات هذه الفترة فيقول :

« أذكر أننا فى خلال تلك الفترة الحالمة من حياة الشباب ، بدأنا نفكر ذات ليلة .. وقال جمال أنهم الإنجليز أصل بلائنا .. وكانت هذه الجملة مفتاح تفكير طويل .. لم يلبث أن أصبح خطى عملية متتابعة ، كنا نعلم جميعا أن الإنجليز هم أصل بلائنا كله .. وكنا جميعا نكره الإنجليز » وهكذا شهد « جبل الشريف » بمنقباد مجموعة من الشباب تفكر وتعمل من أجل مصر .. فالتاريخ يسجل لهذا الشعب سجلا حافلا بالكفاح من عهد الجدود .. تاريخ طويل سجله آباؤنا وأجدادنا بدمائهم عبر القرون .. هكذا كان تفكير السادات وهو يختلى بنفسه داخل معتقله .. وأخذ يسترجع الذكريات وخاصة التى سجلها عبد الرحمن الجبرتى الذى وصف فترة من فترات مصر بقوله :

فى أوائل شهر ذو الحجة من عام ١٢٠٩ هجرية (١٧٩٥ ميلادية) جاء رجال من بلبيس إلى المشايخ فى الأزهر وتقابلوا مع الشيخ

الشرقاوى يعلنون سخطهم من الضرائب الباهظة والاستبداد الجاهل، واستشعر الشيخ الشرقاوى أن الشعب جاد فى سخطه كل الجد ، وأن النفوس تغلى غليانا مكبوتا لا تؤمن بنتائجه .. واستشعر فى نفسه هذه المسئولية الدينية والوطنية اللتين اشتهر بهما رجال الدين فى ذلك العهد فلم يحاول أن يهدئ من نفوس هؤلاء الثائرين ، ولم يحاول أن يقول لهم أنهم أولو الأمر ، لم يثبط إرادتهم ، وإنما أشعل جذوتهم ، وأحسن توجيههم .

وغضب الشيخ لكرامة الشعب ، وتوجه إلى الأزهر ، وجمع المشايخ وأغلقوا أبواب المسجد ، وأمروا الناس بترك الأسواق والمساجد والمتاجر ، وركب الشيخ فى اليوم التالى وخلفه جمع كبير إلى منزل الشيخ السادات وكان منزله قريبا من منزل إبراهيم بك شيخ البلد ، ولم يلبث حين رأى هذا الجمع أن أرسل مندوبا عنه ، وهو أيوب بك الدفتردار ، إلى العلماء ، وهم قادة هذا التجمع الشعبى.. ووقف المندوب بين أيديهم يسألهم عن مرادهم فقالوا :

نريد العدل الذى لا تقوم حياة بدونه وأبطال الحوادث .

ونريد رفع الظلم الذى هو أساس الهوى إلى من فى الحضيض .

ونريد إزالة الجور لأن الجور مرتعه وخيم .

ونريد إقامة الشرع لأنه شرع الله وقد آمنا به .

ونريد إبطال الحوادث وإقرار الأمن .

كما نريد رفع المكوسات .. لأن الضرية بغير استئذان الشعب لا يمكن أن تكون شرعية ولا مقبولة بحال من الأحوال .

وكانت ملحمة كلامية بين العلماء ومندوب إبراهيم بك شيخ البلد .. قال العلماء فيها كلمة الحق لأن الخوف من غير الله شرك جزاؤه الخلود فى النار .

قالوا له « إن الضرائب لا تحتمل » .

وقال الدفتردار : إن النفقات باهظة .

قال العلماء : وما الباعث على الإكثار من النفقات والأمير يكون أميراً بالعطاء لا بالأخذ ؟

وبلغ الأمر غايته وخشى إبراهيم ومراد حكام مصر وقتذاك مغبة الثورة .. فأخذوا يسترضون العلماء ويتسجيبون لمطالبهم .

واجتمع الأمراء فى اليوم التالى وأرسلوا إلى العلماء يرجون حضورهم .. وكان ذلك فى منزل إبراهيم بك فحضر منهم الشيخ السادات ، والسيد عمر مكرم ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ البكرى ، والشيخ الأمير ، وكانوا جميعا من رسل الثورة وقوادها الظاهرين . وطال الجدل بين الشيخ والأمراء . احتدم النقاش بين الشعب وحاكمه . بين شعب أعزل إلا من الإيمان والتصميم .. وبين حاكم مسلح تعود الطغيان .

وأعلن الحكام أنهم « تابوا ورجعوا » وأنهم سيشدون على أيدى أتباعهم ليكفوا عن سلب أموال الناس .

والأهم من كل ذلك أن قاضى القضاة كان موجودا فى هذا المجلس ، وأن وثيقة رسمية قد سجلت على الأمراء وقعها الوالى العثمانى ، ووقعها كذلك إبراهيم ومراد .. ويقول أنور السادات :

كان لتسجيل هذه الحقوق فى حد ذاته معنى من أخطر المعانى فحقوق الشعب حقوق مشروعة .

ولكن بعد مضى ١٤٠ سنة يجد الشعب نفسه تحت حكم ملك فاسد .. ومستعمر مستبد .. وأحزاب لا هم لها إلا الارتماء فى أحضان القصر تارة ، والسفارة البريطانية فى جاردن سيتى تارة أخرى .

إذن لابد أن يكون داخل الجيش رأى عام قوى .. لابد من أن تتحمل طليعة ضباطه المسئولية ليكون لهم دور فى انقاذ الوطن من المستعمر الغاصب فالشعب يئن من السيطرة الأجنبية التى يرزح تحتها ، والاستعمار هو سلاح فتاك يدمر حياة الشعوب وأمنها وفى كل أسلوب يتخذ له اسما ..

ولكن الهدف واحد .. هو الفتك بالشعوب وإشاعة الرعب بالعالم .

كان اسمه شركات أجنبية تحصل على امتيازات .

وتطور إلى احتلال عسكرى بالجنود والمعدات .

ثم تطور إلى حماية ..

ثم اطلقوا عليه انتدابا ..

وعادوا فقالوا وصاية ..

وعرفت مصر على يد بريطانيا الحماية .. ثم الاحتلال ..

كانت هذه هى أحاسيس أنور السادات وهو يسرح بأفكاره وهو حبيس معتقله الانفرادى فى ميس المشاه .

قلت إن المخابرات العسكرية يئست من وضع يدها على مدبرى خطة هروب الفريق عزيز المصرى واكتشاف شىء من جماعة الضباط الأحرار .. وفى الوقت نفسه ما يزال أنور السادات وبعض الضباط معتقلين على ذمة التحقيق الذى لم يصل إلى أى نتيجة ..

وأيضا شعرت المخابرات العسكرية بخطورة هؤلاء الضباط المعتقلين ، فرفعت تقريرا إلى وزير الدفاع لاتخاذ ما يراه فى شأنه.. وكان الوفد هو الحاكم بعد أن جاء به الإنجليز على أسنة الرماح .. واتخذ القرار فى شأنهم .. وتم التصديق عليه من الملك بصفته القائد الأعلى للجيش المصرى ، لقد أصدرت الحكومة قرارها ليكون عبرة للضباط الآخرين .

وفى اليوم التالى لصدور المرسوم الملكى السامى حضر بعض الضباط إلى مقر ميس الكتيبة الثالثة مشاه حيث السادات هناك تحت الحراسة المشددة ، وكان مع هؤلاء الضباط رجلان يرتديان الملابس المدنية أحدهما من مكتب الفريق إبراهيم عطا الله والثانى من مكتب اللواء سليم زكى .

ومن المعروف عن الفريق إبراهيم عطا الله فى ذلك الوقت أنه كان يتولى إذلال ضباط الجيش لإرضاء صاحب الجلالة ، أما سليم زكى فقد كان يقوم بإذلال البوليس والشعب لإرضاء أسياده فى السفارة البريطانية ، ولقد كان حضور هذا الجمع من الضباط من ذوى الرتب الكبيرة مع بعضهم مفاجأة لأنور السادات .

وقال القائمقام الذى يحمل فى يده ملف خدمة السادات :

– اليوزباشى محمد أنور السادات .

– فقال : افندم .. (ووقف احتراما للبدلة التى كان يلبسها الضباط العظام القادمون إليه) ..

– قال : صدر النطق السامى الكريم « وسكت الضابط قليلاً »

وهنا ، وقبل أن يكمل الضابط القرار تبادر إلى ذهن أنور السادات أنه بالإفراج عنه سيما وأن الضابط يقول فى أول كلامه النطق السامى الكريم .. والضابط العظيم واصل باقى كلامه قائلا :

– بالاستغناء عن خدماتك ..

لقد تحركت الشفاه الملكية بالحكم عليه بالطرد من الجيش العامل.. وشعر لأول مرة أنه منذ ذلك الوقت أصبح حرا إذ إنه ستنتهى علاقته منذ تلك اللحظة بالجيش .. وينطلق إلى الحياة يكافح وهو يعلم تماما أن رحمة الله أوسع من رحمة الملك .

ولأول مرة يخلع بذلته العسكرية ويرتدى الملابس المدنية استعدادا

للخروج . وأمام باب الكتيبة طلب من الضابط أن يأمر له بسيارة توصله إلى بيته .. وهنا تقدم إليه شخص وقال له :

- أنا البكباشى إمام إبراهيم من محافظة مصر .

- أهلا وسهلا أى خدمة ؟

- عربيتى تحت أمرك .. بس حنمر على المحافظة لأنهم عاوزينك فى كلمتين لو سمحت ، وبعد ذلك نقوم بتوصيلك للمكان الذى ترغبه .

وركب أنور السادات السيارة التى وجد فيها زميله الطيار حسن عـزت الذى عـرف منه أنه هو الآخـر صـدر بشـأنه الأمـر الملكى بالاستغناء عن خدماته .

وسـارت السـيـارة .. وفى الطريق أطلق أنور السـادات العنان لأفكاره التى عادت إلى الوراء .. ففى عام ١٨٨٢ كان الشعب المصرى يعانى من الخونة المأجورين ، إذ كان الجيش يضم ضباطا والحكام لا يشعرون بإحساس مصر ، بل يعتبرون أنفسهم من طينة الخديو.. أما الشعب فكانوا يصفونه بالفلاحين عبيدهم .. ولقد كانوا يطلقون على أحمد عرابى « الفلاح » لأنه مصرى . ولم تكن مناصب القيادة من حق الضباط المصريين ولا كان من حقهم أيضا الحصول على رواتب مثل غيرهم من الضباط الأجانب .

أما من ناحية الشعب فقد كانت المناصب والحكم وقفا على الأتراك والأجانب من دون المصريين « الفلاحين ».وكان السياسيون الذين يتقلدون المناصب من هؤلاء الخونة الأجانب عن الشعب .. أما أبناء البلاد فلم يكن لهم صوت أو نصيب فى أمور بلادهم .

وكانت الخطوة الأولى لفرض الاستعمار حينما قررت الجمعية التشريعية المصرية أن تمارس سلطاتها كاملة باسم الشعب فى الرقابة على الحكومة والميزانية ومقاومة التدخل الأجنبى من فرنسا

وبريطانيا الذى كان يتمثل فى إشراف ثنائى على مالية مصر وأوعز قنصلا فرنسا وبريطانيا إلى الخديو توفيق « الدمية » بتعطيل هذه الجمعية وإلغائها .. ثم تلا ذلك التدخل العسكرى سنة ١٨٨٢ .

إن الاستعمار لا يعيش أبدا إلا على الخيانة والاقطاع والحكام الذين يبيعون أنفسهم وبلادهم لقاء المنفعة والجاه والسلطان .

واهتزت السيارة التى كانت تقل أنور السادات وزميله ، وهنا جمع أفكاره التى ترك لها العنان لتعود إلى الماضى وتذكر أنه منذ وقت قصير صدر قرار فصله من الجيش بأمر ملكى سام أصدره الملك «الدمية » الذى يجلس على العرش .. اسما ولكن الحاكم الحقيقى هو السفير البريطانى الذى جاء بالوفد على رأس الحكومة ، وأذعن الملك لأمره لا لشىء إلا للحفاظ على عرشه .. ووقفت السيارة .. ولكنها لم تقف أمام المحافظة .. بل أمام سجن الأجانب وهبط منها البكباشى إمام إبراهيم وقال للسادات وزميله :

– اتفضلوا .

– على فين ؟

– إجراءات أمن احتياطية .. حتشرفوا هنا كام يوم ..

– ليه .. علشان إيه ؟

– الأوامر كده ..

●●●



صفحات
من حياة
أنور السادات

إذا أردنا تحرير الأوطان فعلينا
أولا تحرير الإنسان ..

الفصل الرابع

رحلة إلى السجون والمعتقلات

استقبل الصول هكمان الضيفين وتمت التوصية اللازمة بالنسبة لهما من إمام إبراهيم الذى قال لمأمور السجن :

– خذ بالك منهم.. دول ضباط.

وعمل هكمان بالتوصية وأصدر أوامره إلى رجاله بإجراء تفتيش دقيق للضيفين، وأمر الشاويش الضابطين بخلع أحذيتهما وأخذ منهما ساعتيهما ثم تولى تفتيش جيوبهما بطريقة وقحة.

وأصدر الصول هكمان مأمور سجن الأجانب تعليماته بوضع الضيفين فى الزنزانة رقم ٥ التى لايتعدى حجمها مترين وهى تشبه القبور، وبها سريران آسف لوحين من الخشب وبطاطين وسطل لكى لايزعجوا الصول هكمان عند قضاء الحاجة.

كانت كل ممتلكات أنور السادات التى حملها معه إلى سجن الأجانب عبارة عن حقيبة صغيرة من الورق المضغوط التى يستعملها تلاميذ المدارس الإبتدائية بها بنطلون وبيجاما وفوطة وسجادة للصلاة ومصحف ممزق غلافه وكان يقضى وقته فى الصلاة وتلاوة القرآن الكريم، وبدأت الحياة الجديدة داخل هذه الزنزانة اللعينة تملأ وقته أما فكره وقلبه وحواسه فقد كانت كلها مع أولاده وبيته وخاصة بعد أن فقد وظيفته وأصبح بدون عمل ولا عائل غيره لأسرته.

أما زميله حسن عزت فقد حمل معه أمتعة كثيرة مكونة من حقيبتين كبيرتين وسلة بها مالذ وطاب من أفخر أنواع المأكولات وأجودها بالإضافة إلى بعض أدوات التسلية.. ويومها سأل أنور بعد أن رأى حجم متاعه الصغير الذى حمله فى حقيبة شقيقه :

– هل هذا كل متاعك ؟

فأجاب فى دهشة :

– وهو ده شوية

– على كل حال يا أنور أنا معايا هدوم كفاية وأدوات تسلية كثيرة وهدومى تحت أمرك.

ولم يجب على زميله الذى استرسل ليخرجه من صمته المطبق الذى رآه فيه :

– وحتعمل إيه يا أنور فى الأولاد والبيت.

قال وهو يتأهب للصلاة :

– « لهم رب »

وبعد الصلاة سحب مصحفه القديم وبدأ فى قراءة القرآن بصوت مسموع، وهنا بدأ حسن عزت يتضايق من هذه الحياة وبدأت أعصابه تفلت منه وهو فى عجب من قوة أعصاب أنور وصاح فيه :

– كفاية قراءة بقى يا أنور فلقتنا ..

وقال أنور وهو مشفق عليه :

– الله يهدينا ياحسن. قم توضأ وتعالى صلى ركعتين.

وبدأ الغيظ يسيطر على حسن وقال :

– هل تريد أن تهزأ بى ؟

وترك أنور صديقه وواصل القراءة، وهو يطلب من الله الهداية له.

وفجأة تناول حسن عزت سبت الطعام وقذف به رأس أنور وكانت الضربة قوية فسببت له إصابة بالغة وفجأة فتح هكمان باب الزنزانة ودخل إليهما وقال فى لهجة كلها سخرية :

- ها طردوكم ؟

وانطلق حسن عزت إلى إتجاه هكمان كأنه ثور هائج وغاصت أسنانه فى كتف المأمور الذى أسرع الشاويش إلى انقاذه من يديه، وأسرع هكمان بالخروج والدماء تسيل من كتفه وهو يصيح من الآلام :

- أنا ليه فى السجن أكثر من عشرين سنة، عمرى ما رأيت الوحشية دى.

وعاد أنور إلى الصلاة والقراءة.. ولم يجد زميله بدا من أن ينصت إلى ما يقرأ. ويوما بعد يوم بدأ حسن عزت يتأثر بسحر وألفاظ ومعانى هذا الكتاب الذى تتبع كلامه وأصبح يشعر بسعادة بالغة عند سماعه.

وفى تلك اللحظة فقط شعر حسن عزت بضخامة المتاع الذى دخل به أنور السادات إلى السجن.. وضآلة المتاع الذى دخل به هو.. لقد كان لأنور السادات فى سجن الأجانب ذكريات لم ينسها.. فالسجن عالم يجتمع فيه جمع من الناس تختلف أمزجتهم ومهنهم وطباعهم، وأيضا جنسياتهم خاصة إذا كان اسم السجن «سجن الأجانب» .

ففى إحدى الأمسيات وبينما كان جالسا فى خشوع يقرأ القرآن بصوت مسموع إذا به يتنبه وهو فى هذه الجلسة الروحية إلى أصوات قادمة من نافذة الحجرة تغطى على صوته، وتحول السكون والهدوء إلى عالم آخر، يخيل للمرء للوهلة الأولى أنه ليس فى سجن،

ولكنه فى جو شاعرى فالأصوات التى حملها الهواء عبر السكون كانت لألحان غنائية آتية من المكان المخصص لسجن النساء، وكانت هذه الألحان باللغة الايطالية، وأخذت الفتيات الفاشيست الست يرددن هذه الكلمات التى تبدو تارة كأناشيد حماسية وتارة أخرى كأغان غرامية فياضة بالمشاعر والحب والحنان.

كم يكون جميلا أن يشعر السجين بمعانى الحب ويحس بالحنان الذى فقده وهو فى هذا العالم الغريب الذى اختاره له القدر ليقضى فيه ليالى موحشة وأياما طويلة.. وفجأة والجو تنساب فيه هذه الأنغام الحالمة مع هذه الأصوات التى تبعث الدفء فى أوصال المرء انطلق صوت ثائر يأمر الفتيات الإيطاليات بالسكوت، ويقع هذا الصوت عليهن كالصاعقة، إنه صوت «أم أحمد» المسئولة عن النساء ليعيد السجن إلى حالته الأولى هدوء تام كأنه القبر.. ومرة أخرى يسمع صوتا يحاول ترديد النغم الحالم، ويخرج بأنغام كلها نشاز ولم يكن هذا الصوت صادرا عن أى من المساجين ولكنه صوت «أم أحمد» التى كانت تعتقد أن صوتها أجمل من أصوات الفتيات الإيطاليات. كانت أم أحمد سيدة فى الخمسين من عمرها والسمنة تظهر فى كل جزء من أجزاء جسمها ، أما وجهها فقد اتصف بالصرامة، وفى الوقت نفسه كانت تمتلك أطيب قلب ولقد كان بينها وبين المسجونين ود كبير وعطف لايوصف إذ أنها تحمل إليهم الصحف وبعض الأطعمة الشهية التى كانت تتولى إعدادها لهم بنفسها فى بيتها.

ولقد وجد الحاج أنور من أم أحمد كل تقدير، ولفظ الحاج هذا أطلقته عليه لكثرة صلاته وتقربه من الله، وقراءته المستمرة للقرآن.. ولكثرة تردد أنور السادات على السجن كان يقابل عند عودته إليه

بترحاب شديد من فرقة السجن وخصوصا أم أحمد التى كانت تقول له :

- والله ياحاج أنا بافرح لما بترجع لنا تانى هنا.. إنت راجل طيب.. وربنا ما يحرمنا من دخلتك علينا وكانت تختصه عند حضوره إلى السجن بالملاءات الجديدة والبطاطين التى لاتقدم إلا للضيوف الكبار.

وبعد مرور ثلاثة شهور على الإقامة داخل الزنزانة رقم «٥» سمع أنور السادات فى أحد الأيام صوت هكمان وهو يتسلم ضابطين من الجيش وأراد أن يعرف شخصيتيهما، ومن فتحة صغيرة فى باب الزنزانة شاهدهما جالسين فى الشمس خارج السرداب الطويل، لقد كان أولهما أستاذه فى الكلية الحربية البكباشى محمد كامل الرحمانى والثانى القائمقام فؤاد صادق.. لقد وقف الضابطان فى وجه طغيان وزير الدفاع حمدى سيف النصر، فكان نصيبهما الاعتقال بعد أن سجلا فى مذكرة له اتهامات لشخصه وأرادا بذلك أن يفهماه أن فى الجيش رجالا .

- وهكذا كان سجن الأجانب يستقبل كل يوم وفودا من الأحرار الذين يقاومون الإرهاب البوليسى والأحكام العرفية وتوطدت العلاقة بين أنور السادات وجنود الحراسة فى السجن، فقد كان بجانب أم أحمد بعض رجال الشرطة الذين كانت لهم طباع الشهامة والنفس الطيبة ومنهم الشاويش عباس الذى كان يقوم بصنع الطعام له فى منزله من حين لآخر ويصر على عدم أخذ ثمنه.. أما الشاويش محمود فكان يقترب من الستين من عمره، وكان حديثه مع السادات دائما عن ذكريات السجن لرفع روحه المعنوية.. فكان يقول له :

- ياما جانى ناس هنا، كان عندى على باشا ماهر وعزيز باشا

المصرى، وأكتر من دول كمان.

أما الشاويش أبو غزالة فقد كانت عائلته تتاجر فى بيع الأقمشة، وطمأن السادات وزميله بأنه سيدبر لهما عملا لديهم عند خروجهما.

كان يقطن فى الحجرة المجاورة لحجرة السادات الشيخ أحمد حسن الباقورى وفى الحجرة الثالثة شاب فلسطينى يدعى محمد طارق ومعه يهودى طويل القامة سب مصر وشعبها. وهنا ثار الشيخ أحمد الباقورى وقرر إعطاءه درسا لاينساه.. واقتحم الحجرة التى كان يجلس فيها اليهودى وبمساعدة حسن عزت اتخذ الشيخ الباقورى وضع الاستعداد وفى يده السلاح الأحمر وبشدة بدأ الشيخ الباقورى يصوب حذاءه على وجه اليهودى الذى كان يصيح: بوليس طالبا النجدة والشيخ مستمر فى الضرب.

وبعد تأديب اليهودى أرسل إلى سجن مصر وأراد مأمور السجن فى يوم أن يحتك بالشيخ الباقورى فقال له :

- اسمك وسنك وعنوانك ؟

- أحمد حسن الباقورى ، مدرس بالأزهر - حلوان

وهنا أراد الضابط أن يهين الشيخ الباقورى فقال له :

- حلوان دى تبقى فين فى الباطنية والا تحت الربع

ورد عليه الشيخ الباقورى فأعطاه درسا فى الأخلاق والدين وأجبره على احترامه.. واضطر الضابط إلى أن يقدم له الاعتذار.

حينما كان يعود أنور السادات بذكرياته إلى الماضى.. كان يتذكر أيامه الأولى التى قضاها فى رعاية جدته.. ولا أحد ينكر أن لكل منا ذكريات مع طفولته وأجمل هذه الذكريات تكمن فى القصص التى تروى للصغار من الكبار.. وكانت أجمل لحظات السادات فى طفولته

فى فترة المساء حين يجلس إلى جدته - التى تركه والده فى رعايتها لأنه كان يعمل موظفا فى السودان لتحكى له الحكايات.. ولم تكن هذه الجدة متعلمة.. بل إنها لم تكن تعرف حتى القراءة والكتابة ولم تذهب إلى المدرسة، غير أنها أرضعته من أول وهلة خبرتها مع مدرسة الحياة، وكانت بجانب ذلك ترعى شقيقه بالإضافة إلى الإشراف على زراعة مساحة صغيرة من الأرض تملكها الأسرة.. ويقول السادات: إن أول شىء حدثتنى عنه جدتى كان عن عمها الذى كان يعمل ضابطا فى الجيش المصرى أيام عرابى سنة ١٨٨٢ وهى السنة التى انتهت بالاحتلال البريطانى لمصر.

إننى أذكر كيف كانت تحكى لى وفى عينيها بريق عجيب وحماس أعجب فقد فوجئت القرية الوادعة ذات يوم بدخول فارس على جواده، يركض فى سرعة رهيبة، ثم لم يلبث أن احتوته القرية. وكان الناس وقتئذ مفتونين بعرابى، ذلك الضابط المصرى الفلاح الذى تحدى الخديو التركى من أجل الضباط المصريين، ثم من أجل إقامة حياة ديمقراطية يتولى فيها الشعب أموره بنفسه، وكان دعواته لهم بالنجاح حارة ومن كل قلوبهم خاصة.. أنهم عرفوا أن الخديو الخائن قد استنجد بالإنجليز الأجانب.

وحين دخل هذا الفارس فى سرعته الرهيبة اندفعت الجموع من خلفه، لأنه كان يرتدى ملابس الضباط، ويواصل السادات ذكرياته فيقول:

كانوا جميعا فى شوق إلى سماع الأنباء عن جيشهم الذى يحارب من أجلهم، وعن عرابى بطلهم، وأخذوا يندفعون من شارع إلى عطفة إلى حارة، وراء ذلك الفارس الجامح، وفى كل لحظة ينضم إليهم فوج

جديد إلى أن فوجىء هذا الجمع بالحصان والفارس وقد سقطا على الأرض فى منعطف ضيق، وكان الحصان من فرط لهثه وتعبه يرقد ممددا على الأرض.. والفارس ملقى إلى جواره، ودماؤه تنزف بغزارة وعلى الفور تعرف الناس على الضابط الفارس. فهو ابن بلدهم.. وقد كان على قيد خطوات من منزله فنقلوه إليه.. أما الحصان فإنه لم يلبث أن مات بعد دقائق قليلة.

كان الفارس كما روت لى جدتى هو عمها الذى كان يعمل فى سلاح الفرسان فى الجيش المصرى. وقد روى للأهل والأصدقاء قصته، بعد أن ضمدوا له جراحه وغسلوا وجهه بالماء.. وكانت قصته هى قصة الجيش المصرى الذى قاتل فى الاسكندرية وكفر الدوار سنة ١٨٨٢ بقيادة عرابى وضد الغزاة الإنجليز. وعندئذ تحولوا إلى قناة السويس فدخلوا منها بالتآمر مع ديليسبس.. وتسللوا بالخيانة والغدر إلى مصر، فى الوقت الذى كان ديليسبس يطمئن فيه عرابى بأن القناة لن تستخدم فى غزو مصر، مما جعل عرابى يعدل عن تعطيلها احتراما منه لكلمة ذلك الأفاق.

وفى سنة ١٨٨٢ كان يحكم مصر الخديو توفيق وكان هذا الرجل يتصف بالجبن والتردد فضلا عن كونه أجنبيا عن مصر (الجنسية) وعميلا لفرنسا وبريطانيا، فقد أجبرت بريطانيا أباه اسماعيل على التنازل عن العرش والرحيل عن مصر حيث استقر فى إيطاليا إلى أن مات بها، وجاءوا بهذه الدمية (توفيق) فنصبوه بدلا من أبيه على مصر لكى يأتمر بأمرهم ، وينفذ مشيئتهم.

لقد أجمع المؤرخون على ضعف شخصية توفيق، وتخاذله وارتمائه فى أحضان بريطانيا وفرنسا منذ أول لحظة لدرجة أنه كان لايبرم

أمرا من أمور الدولة إلا والقنصل الفرنسى عن يساره والقنصل البريطانى عن يمينه، وعندما اقتحم عرابى باسم الجيش المصرى سراى عابدين سنة ١٨٨٢ لكى يقدم طلبات الجيش المصرى والشعب، وجد إلى جانب الخديو القنصل البريطانى سير ادوارد ماليت وسجل التاريخ إلى يومنا هذا، صورة عرابى وهو يناقش الخديو وإلى جانبه القنصل البريطانى.

تذكر أنور السادات أن الأيام لم يتغير فيها إلا شىء واحد.. وهو أرقام سنواتها.. الاستعمار هو الاستعمار والملك هو حفيد الجدود الذين باعوا البلاد، وإذا كان عرابى قد قبض عليه، وحوكم فإن السجون تستقبل كل يوم أحرارا مناضلين، ولكن بدون محاكمات، لأن الاستعمار لابد له أن يعيش.. وهو لايعيش إلا على الخيانة والإقطاع والحكام الذين يبيعون أنفسهم وبلادهم لقاء المنفعة والجاه والسلطان.

●●●



صفحات

من حيـاة

أنـور الســادات

«أيتــهـــا الحـــرية، كم من الآثام ترتكب باســمك وكــم باســم الحـــرية تقــتــل الحـــرية»

الفصل الخامس

المعتقلات تمــلأ بـالأحـــرار

كانت أخبار المعارك الدائرة فى الصحراء تصل إلى السجن عن طريق الصحف التى يحملها الحراس، وعن طريق أم أحمد ومنها كان يعلم السادات وباقى المعتقلين بمجريات الأمور.. ونقلت الصحف نبأ استيلاء روميل على السلوم وهى مدينة تقع على مشارف مرسى مطروح أولى محافظات مصر من الصحراء الغربية ونشرت الصحف المصرية حكاية قسيس نار الجحيم الذى كان يتولى الكتيبة الأولى فى قوات روميل.. وكان يدعى باخ ويعمل فى الحياة المدنية قسيسا وراعيا لكنيسة إنجيلية فى فانهايم، ثم أصبح ضابطا احتياطيا، ولذلك كان الضباط يطلقون عليه «القسيس» أما الجنود فأطلقوا عليه «الشيطان المراوغ».

وفى يوم قدم أحد الضباط الألمان للالتحاق بكتيبة القسيس وعندما قدم نفسه إليه دهش أشد الدهشة برقته الزائدة عن الحدود.

ولقد كان الضابط القسيس برتبة نقيب وفى الخمسين من عمره، ويبدو متزنا وبسيطا.. وعندما دخل عليه الملازم فى الكوخ الذى كان يقضى فيه بعض الوقت حياه برأسه وهو يحمل بيده اليسرى سيجارا وعلى كتفه شارات الرتب، وقبل أن يقدم الملازم نفسه قال له النقيب باخ.

– حسنا ياصديقى.. لقد تمكنت إذن من الوصول إلى هنا سالما،

هل لك فى تدخين سيجار ممتاز ؟

- شكرا سيدى النقيب.. السيجار يجعلنى أشعر بالغثيان، وأنا لا أدخن إلا السجاير.

- السيجار أفضل من الناحية الصحية، لكن إن كنت تفضل السجاير فخذ واحدة منها وأعطى الملازم سيجارة ثم تابع حديثه:

أتمنى أن تستمتع معنا هنا بالراحة والهناء.

لقد كان القسيس النقيب يتحدث بلهجة أبناء بادن، وينفخ سيجاره فتبدو عليه علامات الرجل المستمتع بالتدخين ، ودلائل رجل رصين مالك زمام نفسه ومن أسرة عريقة.

وتعجب الملازم شميدت من كلام النقيب حيث إنه لم يسمع إطلاقا قائدا يدعوه كما دعاه القسيس النقيب إلى الاستمتاع بالحياة العسكرية وخاصة فى ساحة القتال.

والغريب أن الانجليز أعجبوا بهذا القائد القسيس، كما أحبه جنوده إذ كان مثلا رائعا للفضائل العسكرية فى الحرب الأفريقية، حيث إنه لم يسمح لنفسه أن يعطى أمرا لم يكن هو على استعداد لتنفيذه.. وعلى الرغم من أنه وقع أسيرا فى أيدى الإنجليز إلا أن هؤلاء استمروا يذكرون شمائله العسكرية، وأطلقت عليه الصحافة البريطانية اسم «قسيس نار الجحيم»..

لقد كانت القاهرة هى مطمع روميل.. الذى كان يأمل أن يصلها عبر الصحراء وكان عدد سكانها فى هذه الفترة يبلغ مليونين من المواطنين.. وكانت تعمل بها شبكة جواسيس من أكفأ رجال إيطاليا تحت قيادة الفاشيست نانى.. وبعد فشل خطة هروب عزيز المصرى ضم إلى هذه الشبكة «روبرتو» وهو من رجال المخابرات الألمانية فى أثينا وذلك بعد أن قرر رئيس المخابرات الألمانية أن روميل يحتاج إلى

معلومات وثيقة عن القاعدة البريطانية فى مصر حيث إن استراتيجيته تعتمد على المفاجأة والخداع، وأية معلومات مهمة سترسل إليه تساوى أكثر من إرسال عشرين دبابة. ونتيجة لذلك وضعت خطة جريئة اشتملت على دخول اثنين من الجواسيس الألمان إلى القاهرة وحيفا بفلسطين، ووقع الإختيار على باتاشون وهو يبلغ من العمر حوالى الخمسين عاما ويظهر فى صورة الرجل الودود أما الآخر فقد كان يدعى مولينبروخ يرى فيه المرء من أول وهلة صورة الرجل الرياضى وكلاهما كان يتحدث العربية بطلاقة حيث عاشا فى الاسكندرية مدة طويلة، وكان عليهما أن يعودا إلى هاتين المدينتين لانشاء مركز للتجسس فى كل منهما.

ودارت مناقشة حول كيفية دخولهما، وهل يتم ذلك عن طريق غواصة تحملهما، أم عن طريق سيارة تقلهما عن طريق الصحراء، وظهر أن هاتين الوسيلتين غير مضمون نجاحهما. وعلى ضوء ذلك استقر الرأى على اسقاطهما من الجو بواسطة إحدى الطائرات فى طريق القوافل الممتد من واحة الفرافرة إلى مدينة ديروط على النيل.

وفى درنة تم تجهيز الطائرة التى ستحمل الجواسيس الألمان والتى ستقطع المسافة ذهابا وإيابا وفى تسع ساعات، وهنا ظهرت مشكلة وهى الوسيلة التى سيتم عن طريقها نقل الجواسيس من الصحراء إلى النيل حيث إن هذه المسافة تبلغ حوالى ٦٠ ميلا وهل سيتم ذلك سيرا على الأقدام؟ ووجدا أن هذا يعنى هلاكا محققا لهما.. إذن لابد من وجود سيارة .. ولكن كيف يتم نقل سيارة.. واهتدى تفكير «المازى» إلى أنه يمكن استخدام دراجة نارية حيث من السهل شحنها فى الطائرة.. وتم تجهيز الحملة، واستعدت الطائرة.. كان الجو ساخنا.. وخرجت الطائرة إلى اتجاهها، ولكنها لم تتمكن

من الهبوط لوجود بعض الدوريات البريطانية فى المنطقة، فعادت دون أن تنجح فى مهمتها..

ولما طلب روميل من قيادته تقريرا مفصلا عن القوات البريطانية فى مصر يشمل عددهم ومدى استعدادهم، وأهم المناطق الاستراتيجية المهمة التى يسيطر عليها ومعرفة الروح المعنوية للقوات واحتياطات الأمن وذلك لتلافى المفاجآت وحماية قوات المحور من أعمال التخريب عندما تدخل إلى أرض النيل من الصحراء الغربية ، رأت المخابرات الألمانية فى شخصية المازى أنه الشخص القادر على تولى هذه المهمة سيما بعد فشلها فى محاولة خطف عزيز المصرى ومحاولة نقل الجاسوسين إلى مصر، وبعد دراسة لأسباب الفشل والنجاح وجد الأميرال كناريس أنه يمكن للمازى أن يدخل العلمين من الصحراء على أن يكونا من قيادة الفوج ٨٠٠ المسمى «براندبرج لهر» وهى المجموعة التى يتكون منها الفدائيون.

والجدير بالذكر أن هذه الوحدة سميت باسم مدينة «براند برج» حيث أرسلت أول سرية منها إلى الحدود البولندية فى عام ١٩٣٩ وأصبحت فرقة من الفدائيين على العمليات خلف خطوط العدو وكان أغلبهم من الألمان الذين عاشوا فى خارج ألمانيا ويجيدون لغة أو لغتين بالإضافة إلى لغتهم الأصلية كما كان الكثير منهم يحملون جوازات سفرهم الأصلية التى أعطتهم إياها دول الأعداء.. وقد حقق رجال «براند برج» الكثير من النجاح كما قامت الوحدات الى تشبهها فى الجانب البريطانى بمجهودات ضخمة.

أطلق المازى اسم «السلام» على عملية عبور الصحراء إلى النيل. ووضعت الخطة على أساس أن تبدأ الحملة انطلاقتها من مدينة طرابلس بليبيا وهى تبعد عن هدفهم عن مدينة أسيوط على النيل

حوالى ألف وسبعمائة ميل.. وجهزت الحملة التى ستمر عبر الصحراء التى لم تصل إليها قدم إنسان بإمدادات تكفى أفرادها لمدة ستة أسابيع، ومن برلين إلى طرابلس بدأت الرحلة. وارتدى العملاء الملابس العسكرية للحيلولة دون أن يتم إعدامهم كجواسيس إذا قبض عليهم.

إن اجتياز الكثبان الرملية فى الصحراء ليس بالسهل ولابد من توجيه السيارة فى اتجاهها بحيث تصبح على زاوية قائمة، كذلك قيادتها بأقصى سرعتها إلى قمة الجبل وقبل الوصول إلى القمة لابد من التحكم فيها.

وكانت الحملة مكونة من ثمانية رجال بينهم طبيب.. والمعروف أن درجة الحرارة تهبط إلى ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر، وتجمد الرجال من شدة البرودة، وسقط الطبيب مريضا وأصبحت حالته خطيرة واضطروا إلى ترك أحد الرجال مع الطبيب، واستمرت الرحلة الخطيرة، فهذه الحقول عبر الصحراء كأنها مخلفات ثورة بركانية وقعت منذ فجر التاريخ، فالصخور تغطى الأرض كما لو أن يد الشيطان بعثرتها فمنها من هى فى حجم السيارة والبعض فى حجم قبضة اليد.

واستمرت الرحلة عبر الجبال وتمكن «المازى» الذى كان يعمل دليلا فى الصحراء عام ١٩٣٧ للمصريين والإنجليز والمستكشفين والسياح من الوصول إلى هدفه.. وعند أسفل الجلف الكبير تذكر أنه فى آخر مرة كان فيها ترك صفائح من المياه الصالحة للشرب فى خزان للمياه.. ولما عثر عليها فتح المازى إحدى هذه الصفائح ووجد الماء لايزال صالحا كمياه الينابيع العذبة.. وشربوا وصبوا الماء على وجوههم.. ثم عادت رحلة السلام إلى تقدمها إلى النهاية.. وبعد ثلاث

ساعات من السير المتواصل شاهد المازى الممر الذى يمكن عن طريقه عبور الجلف الكبير والذى يبلغ ١٢٠ ميلا وقال : ما أبعده من مطار طبيعى، لقد بهرنى من قبل فى عام ١٩٣٧، إنه يسمح بأن يهبط فيه هنا اسطول كامل على بعد ٤٠٠ ميل من النيل.

وعندما وصلوا إلى الطريق الذى يحمل لوحة مكتوبا عليها «أسيوط ٥ أميال» خلع الجاسوسان ملابسهما العسكرية ولبسا الملابس المدنية التى جهزت لهما فى برلين حيث قام رجال المخابرات بحياكة علامات الخياطين فى القاهرة على الستر والسراويل بالإضافة إلى تزويدهما ببعض الأوراق والخطابات الشخصية وإيصالات وفواتير بعض فنادق القاهرة وعملات مصرية، كما تم تسليمهما الحقيبة التى وضع فيها جهاز الإرسال وحقيبة أخرى بها ٢٠ ألف جنيه استرلينى.. وعندما جهز الصراف هذه النقود فى برلين كان مكتئبا لأن الجنيهات كانت صحيحة وليست مزورة. وانطلق رجال المازى أوالطابور الخامس ليبدأ مهمتهما، وعاد المازى ورجاله عبر الصحراء فى رحلة العودة بعد أن أرسل إلى قيادته يخبرهم بنجاح عملية السلام.

وفى القاهرة كان الغليان الشعبى قد وصل إلى ذروته.. فالملك يملك ولايحكم وهو يحكم قبل أن يملك، والصراع الحزبى أصبح شخصيا بين الزعماء والأحزاب، وليس لمصلحة الوطن، بل على الفوز بالحكم والسلطان، وتفرقت كلمة البلاد وبدلا من أن يكون الكفاح موحدا ضد بريطانيا التى كانت تحتل البلاد بجيوشها التى فرضت الاحتلال والإذلال، نرى أن ذلك الكفاح أصبح بين أبناء البلد من أجل المناصب، والحكم، والحياة.. أما الأحرار فقد كان نصيبهم السجون والمعتقلات.. وكان لابد من نهاية يمكن أن يجد الشعب عن طريقها

حريته.. لقد كان سجن الأجانب يحتوى على موائد الطعام المتواضعة والمقاعد الخشبية وأقداح المياه فى الزنازين.. ولو قورن سجن الأجانب بباقى السجون المصرية لاعتبر من أنظف السجون التى ينام فيها النزلاء على الأسفلت، لايعزلهم عنه سوى برش من نسيج الليف وبطانية واحدة قد تكون مستهلكة ولا وسادة ولا أى شىء آخر بخلاف سطل التبول بلا غطاء وآخر يوضع بجواره للشرب بلا غطاء أيضا.. وهذا ماجعل سجن الأجانب يعتبر بالنظام المطبق فيه بالنسبة لباقى السجون من أرقى الأنظمة المتبعة لو قورن بالنظام الحيوانى فى السجون المصرية الأخرى التى ينزل فيها المواطنون الصادرة ضدهم أحكام حتى أن المرء أصبح يشعر بالحزن والغثيان من هذا التمييز الخطير وما ينطوى على الحط من قدر المواطن المصرى وإعلاء قدر الأجنبى حتى لو كان من المجرمين. والمعروف أن نزلاء سجن الأجانب كانوا من جميع الأجناس فمنهم الأوروبى والفاشيست والنازى والآسيوى والأفريقى والمغربى.. وكان فى السجن غرفتان كبيرتان مخصصتان للسجن الجماعى، وكل منهما تتسع لعدة أسرة، وقد طوق الطابق الأعلى بالأسلاك التى تشبه شباك الصيد وذلك خوفا من إقدام النزلاء على الانتحار بإلقاء أنفسهم إلى الطابق الأرضى.

وقد يتساءل أحد عن الدوافع التى تكون سببا للإقدام على الانتحار خاصة وأن نزلاء سجن الأجانب قد تكون حياتهم فى داخل هذا السجن مثل خارجه إن لم تكن أفضل، غير أن جميع محاولات الانتحار كان سببها واحدا وهو الحرمان من الحرية ، فقد كانوا يفضلون الموت على الحياة بلا حرية.. وامتدت هذه الأسلاك لتفرض عليهم الحياة بدون حرية.

واصلت الجهات المسئولة بحثها عن الفريق عزيز المصرى والطيار

أول حسين ذو الفقار صبرى والطيار أول عبدالمنعم عبدالرؤوف وأشارت جميع البيانات والتحقيقات إلى أن الهاربين غادروا القاهرة إلى صحراء الفيوم إذ عثر على سيارة من سيارات الجيش تحمل رقم ٣٠٤ كان عزيز المصرى وزميلاه قد استخدموها فى الهروب من القاهرة عقب وصولهم إليها، ولقد وجدت السيارة منقلبة فى صحراء الفيوم وتبين أن ركابها الثلاثة غادروها عقب إنقلابها، وصدرت الأوامر باشتراك الطائرات ودوريات سلاح الحدود فى البحث عن الهاربين ، وكذلك أوفدت الحكومة بعض الأعراب المتخصصين فى تتبع الأثر إلى الصحراء للمعاونة فى عمليات البحث.

وأثير موضوع هروب عزيز المصرى فى مجلس النواب ونشرت الصحف اللبنانية عدة مقالات شرحت فيها قصة الهروب. ومن أطرف القصص التى حدثت أن «عرافا» أرسل إلى وزير الداخلية يخبره أنه على استعداد للكشف عن مكان الهاربين بوسائله الخاصة شريطة أن يدفع له نصف المكافأة التى أعلن عنها كمقدم أتعاب وقال إنه إذا لم يرد المبلغ فى حالة إخفاقه فللحكومة أن تسجنه مدة توازى قيمة المبلغ.

ووصل التحقيق إلى أقصى درجة من حدود خفة الدم. فقد تلقى البوليس السياسى بلاغا من مجهول أوضح فيه أن عزيز المصرى وزميليه يختفون فى تكية المغاورى بجبل المقطم.. وفورا انتقلت قوة من رجال الشرطة إلى هناك وفتشت التكية ولم تعثر للهاربين على أثر.

وكان البوليس السياسى يبحث فى نفس هذه الفترة عن أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة وكان يقود عملية البحث إبراهيم إمام ودلت التحريات على أن أحمد حسين يختبىء فى منزل غامض يجاور ملهى الكيت كات .. وهاجم المنزل وكانت مفاجأة لم يتوقعها.. لم يجد

أحمد حسين.. لكنه وجد نفسه أمام عزيز المصرى وزميليه..

وفوجىء أنور السادات بالزوار الثلاثة قادمين إلى سجن الأجانب وهنا أنهى النائب العام التحقيق فى قضية محاولة هروب عزيز المصرى، وأحالها إلى وزارة الدفاع تمهيدا لمحاكمة المتهمين الثلاثة أمام مجلس عسكرى عال.. وكان عزيز المصرى أسوأ الثلاثة حظا في التهم التى نسبت إليه مما كان يقتضى محاكمته مرتين.

الأولى أمام المجلس العسكرى بتهمة تحريض الطيارين على الفرار من الخدمة، والثانية أمام محكمة القضاء العالى بتهمة سرقة طائرة واستغلال منصبه فى أعمال ضد أمن الدولة.

ومرت الأيام بطيئة.. وفى مساء إحدى الليالى فوجىء السادات بالحارس يقول :

لقد قتلوا عزيز المصرى.. الإنجليز أعدموه رميا بالرصاص. وبالاستفسار من الحارس عن مصدر هذا الخبر قال :

سمعت ذلك دلوقت فى نشرة الأخبار من راديو برلين. وازداد المرض بعزيز المصرى، وأصدر الحاكم العسكرى أمرا بنقله للعلاج فى مستشفى الدمرداش.

لقد كان خوف أنور السادات من ترحيله من سجن الأجانب فى محله إذ بلغ المعتقلون عددا كبيرا مما جعل المسئولين يتخذون قرارا بترحيل بعضهم، ولم تمض بضعة أيام إلا وكان السادات مع مجموعة من المعتقلين متوجهين إلى سكك حديد مصر حيث تم نقلهم إلى الوجه القبلى فى صعيد مصر بقطار خاص.. وهناك وعلى بعد أربعة كيلو مترات من مدينة المنيا كان فى انتظارهم أحد القصور الفخمة محاصر بأسلاك شائكة، وأبراج تحيطه من كل جانب وجنود مدججون بالسلاح.. إنهم فى معتقل ماقوسيا وسمى بهذا الاسم

نسبة إلى القرية الموجود فيها هذا القصر. ولم يمض على وجود هذه المجموعة شهر إلا وضمت إليهم مجموعة جديدة.. تمثل خليطا عجيبا من البشر إذ فيهم الضباط المفصولون والعاملون وعضو نواب وصحفي وموظفون وطلبة وحزبيون ورجال دين، وانضم إلى مجموعة أنور السادات الشيخ أحمد حسن الباقورى الذى كان يقضى معه الوقت فى القراءة والسمر.

وسقطت الوزارة.. وقررت الحكومة نقل المعتقلين من ماقوسيا إلى القاهرة.. وإلى ضاحية الزيتون نقل السادات..

إن معتقل الزيتون عبارة عن قصر من ثلاثة طوابق محاط بسور ضخم يضم حوالى فدانين من الأراضى .. لقد كان هذا القصر لمليونير ألمانى شيده فى شارع سليم الأول فى ضاحية الزيتون بعد الحرب العالمية الأولى. ثم باعه لأحد أفراد عائلة مدكور، ولما كانت مساحته ضخمة فقد هجره أصحابه وقيل إن العفاريت تسكن فيه.

ولما وصل أنور السادات إلى المعتقل الجديد أو القصر المهجور لاحظ أن حوله ثلاثة منازل قريبة وتطل عليه ، وعرف أن أحدها بيت الشيخ نجيب المطيعى مفتى الديار المصرية السابق، والثانى قصر مصطفى باشا خليفة أحد أعيان محافظة أسيوط، أما الثالث فقد كان ملك آل الشريعى . إن هذا المعتقل الآن هو معهد المعلمين بالزيتون حيث يسهم فى نهضة البلاد.

وقرر المعتقلون الإقامة فى الدور الثالث وقد اتخذ أنور السادات إحدى حجرات هذا الطابق مكانا لإقامته وتسلم سريرا ومخدتين وبياضات للسرير.

والمعروف أن أى إنسان يريد أن يعيش فى هدوء لابد من دراسة وضع المكان الذى سيقيم فيه وخاصة إذا كان هذا المكان معتقلا..

وهذا يتطلب ضرورة معرفة أخبار الحراسة المفروضة فى المعتقل.. وقام أنور السادات بهذا العمل فعرف أن قومندان المعتقل يتخذ من إحدى حجرات الدور الأول مركزا له وكان فى ذلك الوقت اليوزباشى أحمد سالم.. أما حول سور المعتقل فقد تم إنشاء عشر نقاط للحراسة. وموعد الفطور فى الثامنة صباحا أما الغداء فكان فى الثانية ظهرا والعشاء فى الثامنة مساء .. أما غرفة الطعام فقد كانت كبيرة ووضع فيها عشر موائد حول كل منها ستة كراسى.

وفى أول ليلة تناول الجميع طعام العشاء ثم صعدوا إلى غرف النوم.. وأطفئت الأنوار وبعد فترة سمع المعتقلون طرقا على الشبابيك وخيل إليهم فى بداية الأمر أنها الأشباح التى تسكن القصر ولكن اتضح بعد ذلك أنها جرذان ضخمة هى التى تسبب انبعاث هذه الأصوات.. وظلت عملية مكافحة الجرذان لمدة عشرة أيام حتى تم القضاء عليها.

شعر أنور السادات أن الوقت لايمر بسهولة خاصة أنه لايوجد أى عمل يمكن أن يقوم به هو وزملاؤه المعتقلون لقتل الوقت غير أنه اهتدى إلى فكرة استغلال الأرض التى تحيط بمبنى المعتقل فى الزراعة وتم له ذلك وتعاون مع مجموعة من المعتقلين فى زراعة الجانب القبلى من الحديقة بالخضروات والطماطم، وكم كانت دهشة المعتقلين كبيرة إذ نمت الطماطم وأنتجت كميات لامثيل لها. أما فى الجزء الغربى من الحديقة فقد تم إنشاء متنزه من أشجار الفاكهة، وعندما تعذر رى هذا المتنزه حفروا بئرا.. وفجأة هرع إليهم قومندان المعتقل فذعروا ظنا منه أنهم يحفرون سردابا للهروب.. ولما عرف الحقيقة لم يطمئن نهائيا إلا بعد أن أقام نقطة حراسة فى المكان الذى يتم فيه الحفر الذى انتهى بظهور المياه، ثم تم تركيب «شادوف» وهو

آلة خشبية تستخدم فى الريف للرى، وهنا أطلق على اسم نقطة المراقبة المجاورة للبئر نقطة الشادوف. أما الجهة البحرية وهى المطلة على المدخل الرئيسى للمعتقل فقد تحولت إلى أحواض من أجل الزهور والورد.

كما أقام المعتقلون فى ركن بعيد عن الحديقة عشة فراخ لتربية الكتاكيت ، ولكنهم وجدوا صعوبة فى تعهدها بالرعاية فاستبدلوها بتربية الأرانب ، وتم شراء عشرة أزواج لتربيتها وفى مدة لا تتجاوز ستة شهور امتلأ المعتقل بعشرات منها . وبدأت الأرانب تشكل خطرا على المعتقلين نتيجة لازدياد عددها، وكان لابد من التخلص منها فقرر السادات إقامة الولائم للمعتقلين داخل المعتقل لأكل الملوخية بالأرانب.

وهكذا استطاب له العيش فى المعتقل الجديد، غير أن السادات كان دائما مشغول الفكر خاصة لأنه لم يكن من عائلة ميسورة يمكنها أن تتكفل بنفقات أسرته التى انقطع عنها موردها عندما تم فصله من الخدمة.. وهداه تفكيره إلى شراء سيارة قديمة من قيمة المكافأة التى صرفت له وحولها إلى تاكسى لتنفق على أسرته. ثم اتخذ قرارا آخر وهو فتح مكتب لتجارة الحاصلات الزراعية وهو داخل المعتقل. وأسند إدارته إلى صهره الذى كان يتم توجيهه من داخل المعتقل. واتسعت دائرة الأعمال الحرة له بعد أن انضم إليه زميلان من المعتقلين ثم شقيقه.

إن إدارة الأعمال لايمكن لها أن تحقق النجاح إلا إذا كانت فى يد حكيمة، يمكنها أن تواجه جميع الصعاب ، وخاف أنور السادات وزميلاه على فشل مشروعهم الذى يديرونه من داخل جدران المعتقل مع اعتمادهم على زملائهم فى الخارج . وفكروا طويلا، وقرروا أن يباشروا أعمالهم بأنفسهم ولكن لن يتمكنوا من ذلك إلا بخروجهم من

المعتقل.. واتفقوا على أن يخرج كل واحد منهم مرتين فى الأسبوع بحجة العلاج فى المستشفيات الحكومية بادعاء المرض.. وفى الحقيقة أنهم كانوا موضع عطف الأطباء الذين كانوا يعتمدون كل طلباتهم ويؤشرون لهم بالحضور ثلاثة أيام فى الأسبوع لمباشرة العلاج، وكان يتناوب الحراسة بعض ضباط الشرطة ومن كثرة الخروج قامت بين السادات وبينهم صداقات. والمعروف أن نظام الخروج من المعتقلات كان يتم فى صحبة ضابط وشرطى يستقلون سيارة تاكسى إلى المستشفى وبعد العلاج يعودون، ولكن مع قيام الصداقات مع الضباط سمحوا له بمباشرة أعماله التجارية بعد إعطائه كلمة شرف أن تتم المقابلة الساعة الثانية ظهرا ليعود الضابط به إلى المعتقل وكان السادات شديد الحرص على حضوره فى الموعد حتى لايتعرض الضباط للمحاكمة.

والطريف فى هذه المغامرة التى رواها أحد الضباط المنوط به حراسته، أنه فى يوم من الأيام تم الاتفاق بينهم على أن يلتقيا فى الثانية ظهرا بجوار تمثال إبراهيم باشا بميدان الأوبرا ، وفى الموعد المحدد لم يحضر الضابط ومرت ساعات دون أن يحضر، وبالتالى لم يتمكن أنور السادات من العودة إلى المعتقل بدون الضابط، فأخذ يبحث عنه فى دليل التليفون حتى عثر على رقم أحد أقاربه الذى أعطاه عنوانه فى منزله فذهب إليه فوجده نائما.. وأيقظه ليعود به إلى المعتقل.

استمرت العمليات التجارية بنجاح.. غير أن الأسواق كانت فى تقلبات مستمرة.. وفجأة تدهورت الأوضاع وانخفضت الأسعار وضاعت الأموال عند بعض التجار.. وفشلت تجارة الحاصلات الزراعية لعدم وجود خبرة سابقة فى هذا المجال.. وشيئا فشيئا

تحـولت تجـارة أنور السـادات وزمـلائه إلى مكتب سـيـارات نقل وتاكسيات فى شارع الأزهـر. واتسعت أعمال الشركة الجديدة حتى بات لها ثلاثة فروع فى بورسعيد والسويس، وكان لابد من أن يكون هذه المرة على مقربة من الشركة للإشراف على إدارتها وإلا تعرضت للضياع مثل تجارة الحاصلات الزراعية واستمرت عملية الخروج للعلاج.. إلا أن إدارة المعتقل قررت بعد مضى ستة شهور الحد من الخـروج، مما عـرض تجـارته هـو وزمـلائه للخطر فى الوقت الذى اتسعت فيه رقعة الأعمال وتم رسو بعض المشروعات الكبرى عليهم كإنشاء صوامع للغلال بمدينة طنطا من باطن أحد كبار المقاولين ، وتدارس الأمر.. واستقر على رأى هو وزميله حسن عزت وهو أنه لابد من مغادرة المعتقل حيث إن هذه هـى الطريقة الوحيدة التى يمكن عن طريقها إنقاذ الشركة من الضياع ووضعت خطة للهرب تشمل جميع المعتقلين من الحجـرة التى تقع فى أقصى الحديقة، فمن حجـرة الأرانب ستتم عملية الهروب حيث إنـها تفصل بين حديقة المعتقل وحديقة الجار.. لكن هذا يستلزم فتح طاقة فى سقفها المصنوع من الخرسانة المسلحة حيث يمكن بواسطتها القفز إلى حديقة الجار ومنها إلى طريق الحرية.

وبدأ العمل بهمة ووضع أنور السادات داخل الحجرة طاولة صعد عليها وأخذ فى العمل المتواصل مع زميله لمدة ست ساعات بواسطة سكاكين المطبخ وما توفر لهم من الأدوات التى كانت تستـخـدم فى زراعة الحديقة.. وفجأة انساب شعاع من ضوء القمر خلال أول ثقب وفى خلال ثلاث ساعات أخرى تم فتح الطاقة التى يمكن للمرء أن يمر من خلالها .. وقال أنور السادات لزميله :

– اذهب واعزم على المعتقلين خليهم يتفضلوا لتسلمهم أوامر الإفراج على مسئوليتنا.

ولم يكن الإفراج من أى معتقل فى تلك الأيام سهلاً بل من رابع المستحيلات. وعندما أحيط المعتقلون علما بهذا الأمر وكان عددهم حوالى خمسة وثلاثين لم يلب الدعوة إلا سبعة فقط والباقى رفض إما خوفا من رصاص الحارس أو لعدم الرغبة فى الخروج لأن حالتهم المالية لاتمكنهم من العمل فى الخارج كما أن بعضهم كان يتوقع سقوط حكومة حزب الوفد ليحصل على الإفراج من حكومة معارضة له.

ومن خلال الفتحة تسلق أنور السادات والضيوف السبعة سقف الحجرة إلى الحديقة المجاورة ثم إلى الشارع الذى كانت تنتظر فيه إحدى سيارات الشركة الخاصة به.. وانطلقت السيارة بهم إلى طريق الحرية.. ولكن أى حرية هذه فى ظل الأحكام العرفية والبوليس السياسى فالحياة التى عاشها الشعب ليست سوى سلسلة محكمة الحلقات من الفساد والإرهاب.

●●●



صفحات

من حياة

أنور السادات

الرجل العظيم ينبوع من نور لن ينضب معينه، فما أجدرنا أن ندنو منه فنسعد به، فهو نور يضيء، وقد أضاء من قبل دياجير الظلام، وهذا النور ليس كسراج أشعل، بل هو يستمد ضوءه اللامع الوهاج من السماء. فهو ينبوع أنوار تتدفق لحكمة الرجولة الأصيلة وشرف البطولة الحق وتشعر الأرواح فى كنفه وبهائه بالغبطة والسرور

« كارليل »

الفصل السادس

الرجال سادة أقدارهم



إن أكبر مهزلة يشهدها العالم فى هذه الفترة كانت تمثل على مسرح الحكم والسياسة فى مصر.. فعلى المسرح ملك خليع خاضع لشهواته ونزواته ويلتف حوله لصوص الحكم الذين يطلق عليهم اسم زعماء، وفى الحقيقة أن كل همهم كان يكمن فى أن يشبعوا فيه هذه النزوات بالخضوع والاستسلام لجميع مطالبه لدرجة أن أحد الزعماء المتدينين طلب فى يوم من الأيام من الشعب أن يتوجه معه إلى قبلة جديدة هى جزيرة كابرى.. لكى يحيى الملك الذى كان يعربد هناك فى شهر رمضان.

وعاشت مصر فى هذه الفترة تجربة مروعة استنزفت فيها كل امكانيات الثروة الوطنية لصالح القوى الأجنبية ومصلحة عدد من المغامرين والأجانب الذين تمكنوا من السيطرة على الحكم وساعدتهم على ذلك فداحة النكسة التى منيت بها حركة اليقظة المصرية إذ ظلت البلاد تحكم تحت شعار الدستور فى ظل ديمقراطية الدكتاتورية التى كانت من نتيجتها أن البرلمان لم يسقط وزارة واحدة طوال حياته بل ظلت الحكومات هى التى تحل برلمانا بعد الآخر.

ويصف أنور السادات الديمقراطية فى مصر فى هذه الفترة فيقول: كانت هناك برلمانات، وكان المنصوص عليه فى الدستور هو أن الحكومة مسئولة أمام البرلمان، ولكننا رأينا منذ أن قامت هذه البرلمانات أنها هى المسئولة أمام الحكومة، وبدأ سباق فى الفساد

والرشوة بين الوزراء وأعضاء البرلمانات .. كل هذا يجرى تحت قبة البرلمان، وباسم الشعب الذى كان يجلس أولئك النواب على كراسيهم ليمثلوه .. فداسوا مصالحه وحطوا من كرامته، واندفعوا فى تيار المنافع الشخصية والنزوات الحزبية.. كل هذا كان يطلق عليه فى مصر الديمقراطية والعجيب أن بريطانيا كانت تسعد جدا بتلك الديمقراطية ، وتعتبرها أمرا حيويا للتقدم والحرية، ولم يكن يخفى علينا نحن أبناء هذا الشعب أن حرص بريطانيا على إطلاق كلمة ديمقراطية على هذه الفوضى المخزية، إنما هو سلاح من أحقر أسلحتها للسيطرة على هذا الشعب بشغل أبنائه بعضهم ضد البعض بهذه اللعبة التى تخلق الصراع فى الداخل بين أبناء البلد الواحد، وتبقى هى معززة مكرمة فوق كل صراع تفرض أوامرها وسيطرتها واستعمارها. ولقد وصل الإرهاب الحزبى لدرجة أن بعض الأحزاب كونت لنفسها فرقا إرهابية وعلى سبيل المثال منظمة القمصان الزرقاء التى كونها حزب الوفد الحاكم.. إن هذه الفرق الإرهابية لاتتفق إطلاقا مع طبيعة الشعب المصرى الذى يعانى من إرهاب البوليس السياسى، ولابد عن التحدث عن هذه الفترة وكيفية تكوين هذه المنظمات..

فى فترة من الفترات وهى مابين عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٤٥ حمل مكرم عبيد وكان أحد أقطاب حزب الوفد لواء التمرد ضد طغيان الملك وبطانته، ودفع بحزبه فى هذه المعركة حتى أعفى من منصبه وتولى فؤاد سراج الدين سكرتارية الحزب.. فعدل خطة مكرم عبيد.. وهادن القصر وأعاد الصفاء بينه وبين الوفد.

كان مكرم عبيد من الشباب النابغ المثقف. وبعد إعفائه من سكرتارية الحزب فكر فى إنشاء هذه المنظمة المنحرفة «القمصان الزرقاء» التى اتخذ منها مطية لمهاجمة القصر. ولم تلتزم هذه الجماعة حدود القوانين ، ولكنها انحرفت انحرافا خطيرا إذ سببت آلاما

ومضايقات لأفراد الشعب نفسه.

لقد رأينا هذه الجماعة التى كانت ترتدى القمصان الزرقاء تعتدى على سائقى السيارات ومركبات الترام.. بل وصل اعتداؤها إلى رجال البوليس إذا تدخلوا لحماية المواطنين من عدوانهم.. ثم تطور الموقف فامتد تمردهم إلى العدوان على رجال النيابة.. وعلى بعض أعضاء حزبهم..

انطلق أنور السادات إلى طريق الحرية المخفية لإدارة أعماله من ناحية ولمحاولة إعادة الاتصال بزملائه فى الجيش لتنظيم عمليات المقاومة ، وكان يشاركه فى ذلك صديقه ورفيق الكفاح حسن عزت.

وفى نفس هذه الفترة كان جمال عبدالناصر قد نقل من منقباد إلى الكلية الحربية بعد ترقيته إلى رتبة يوزباشى «نقيب» التى ظل فيها حتى عام ١٩٤٦ عندما التحق بكلية أركان حرب الجيش ثم أصبح مدرسا فى هذه الكلية.

وتمت دراسة أسلوب الكفاح التى يتحتم تنفيذه، خاصة أن مصر تعيش تحت الأحكام العرفية بل أصبح المصريون مسخرين لخدمة جيش صاحبة الجلالة بريطانيا العظمى، وفى الوقت نفسه فإن القوات البريطانية كانت مرابطة فى كل من القاهرة والاسكندرية لأن الثكنات التى كانت تتولى الحكومة بناءها لهم فى منطقة القناة لم تكن قد انتهت بعد.. وتم وضع الخطة التى تتلخص فى العمل ضد جنود الاحتلال ، وذلك بعد أن يئس الشعب من الاستماع إلى ما يردده زعماء البلاد لأنه ثبت أن هؤلاء السياسيين هم الذين ورطوا وطنهم وجروه للاشتراك فى الحرب مع بريطانيا.. وعثر على الجواب وهو التخلص من المستعمر والملك والأحزاب إذ إن الملك الذى يجلس على عرش البلاد لايملك أن يقاوم مطالب السفير البريطانى، والأحزاب أصبحت عملاء للانجليز. إذن لابد من الاعتماد على الجيش.. وكان السؤال.. وكيف ذلك؟ وهو الآن هارب من الاعتقال ومطرود من

صفوف الجيش العامل بأمر ملكى سام .. وهنا كانت فكرة الالتجاء إلى الزملاء المخلصين الذين سبق العمل معهم وأيضا إلى الذين تمكن من تجنيدهم أثناء اعتقاله فى ميس الكتيبة الخامسة بسلاح المشاه.. وتجمع الضابط الأحرار ليعملوا .. ولكن هذه المرة وفق نظام دقيق لأن خطواتهم محسوبة عليهم ولأن دورهم يجب أن يكون إيجابيا بحيث يسدن جميع الثغرات التى واجهتهم . هدفهم واحد. اشمئزاز من الأساليب الملتوية التى يلجأ إليها الحكام وسخط وحقد ومرارة من جنود الاستعمار الذين يصفونهم بأنهم يلوثون بأنفاسهم هواء الحرية والأحرار فى أية بقعة من بقاع الأرض.

ووضع الضباط الأحرار إطارا يحدد أهدافهم ، وتم على ضوء ذلك تشكيل خمس لجان أصبحت فيما بعد هى الهيكل التنظيمى لحركة الضابط الأحرار وهذه اللجان هى :

١ - لجنة الشئون المالية :

لم تكن هذه اللجنة مكلفة بدراسة المشكلات الاقتصادية والمالية التى تتعلق بالأمة وتحديد السياسة التى يجب انتهاجها فى هذا المجال بعد الانقلاب وإنما كانت أبسط من ذلك بكثير إذ كانت عبارة عن خزانة أعضاء التنظيم أنفسهم ، فلما كان من الواجب اتخاذ العدة لمواجهة نفقات المجاهدين الذين يكرسون معظم أوقاتهم للنشاط السياسى، كانت هذه اللجنة مختصة بصرف مساعدات لهؤلاء وأسرهم ليتمكنوا من العيش كما كانت تقوم أيضا بصرف الأموا اللاز مة لشراء الأسلحة والدعاية، وقد ساهم كل ضابط فى البداية بمرتب شهرين ولما كان أغلبهم لايملك نقودا جاهزة فقد حصلوا على هذه المبالغ من أحد البنوك التى أقرضتهم إياها فى مقابل التنازل عن جزء من مرتباتهم، وقد ساعد عزيز المصرى فى تمويل هذه اللجنة إذ تنازل للضباط الأحرار عن ثمن بيع ثمار حديقة منزله عام ١٩٤٥

٢ - لجنة الأمن :

وكانت مهمتها مراقبة المنضمين إلى الحركة لتتبين صدق شعورهم ولتسهر على تطبيق اللوائح تطبيقا دقيقا، وكان لها سلطة قبول الأعضاء ، وطردهم، ولكنها كانت إذا اتخذت قرارا فإنها ترفعه إلى اللجنة الإدارية العليا، كما كانت بمثابة قلم المخابرات تحدد أماكن الاجتماعات وكلمات السر.

٣ - لجنة فرق الهجوم :

كانت مهمتها اختيار المحاربين وتنظيم الخلايا فى صفوف الجيش والتشكيلات شبه العسكرية بين الطلبة والعمال، وكانت كل فرقة من فرق الهجوم تحت رئاسة ضابط يكفل الاتصال بينها وبين إدارة الحركة. وكان اختيار أعضاء الخلايا العسكرية يتم بعد امتحان كل مرشح امتحانا عسيرا وكانوا يختارون من مختلف الوحدات. وانشأت فرق الهجوم عشرين خلية، وقد يسر تدريب الفرق الشعبية الشبيهة بالعسكرية اتصال حركة الضباط الأحرار بمنظمة الشباب الوطنى التى كان يديرها عبدالعزيز على أحد أبطال ثورة ١٩١٩ والذى وضع تحت تصرفهم جهازه السرى وفرق هجوم جماعته التى ألفها قبل أحداث عام ١٩١٩ ، وكانت لمساعدته الإيجابية قيمة عظيمة، وكانت إدارة فرق الهجوم تدون كل مايطرأ على قواتها من زيادة أو نقص.

٤ - لجنة الإرهاب :

كانت مهمة هذه اللجنة الإشراف على المصنع الصغير الذى أقيم بأموال الضباط الأحرار لصناعة المسدسات والقنابل التى تسمى (لوكتيل مولوتوف».

٥ - لجنة الدعاية :

مهمتها بسيطة فى ذلك الوقت حيث كانت تتولى عملية الدعاية فى صفوف الجيش من ضابط إلى آخر دون الاهتمام بالجنود، فقد كان مفهوما أن الجنود إذا ماجاءت ساعة الصفر سيكونون مرغمين على

إطاعة ضباطهم وكان من الخطر لفت الأنظار بمحاولة القيام بتدريبهم.

وبدأ الضباط الأحرار المسيرة والعمل فى ظل حكم ملك فاسد وساسة ينتمون إلى أحزاب ترتمى فى أحضان المستعمر الغاصب واستطاعوا ضم أحرار جدد إلى صفوفهم فى الوقت الذى كانت فيه المخابرات السرية والبوليس السياسى ينشطان فى تعقب أى حركة، ولكنهم نجحوا بفضل الإيمان بالله والإيمان بالوطن والصبر والعزيمة.

وبذلك أصبح للضباط الأحرار دستور عمل وأصبح للحركة هيئة نظامية ولجان وخطط وبرامج والتقى السادات بزميل حلف منقباد، التقى بعبدالناصر الذى بدأ هو الآخر منذ هذه اللحظة يعمل فى صمت.

إن طبيعة عبدالناصر كانت هادئة، وكان يفضل العمل الهادىء المنظم، والتقت العقول مع الآراء ، وبدأ جمال عبدالناصر بعد أن عين مدرسا فى كلية أركان حرب الجيش يضم بعض تلاميذه من الضباط إلى مفكرته ، ولم تكن هذه المفكرة سوى رأسه فقط.

وبدأ السادات العمل.. ولكن بحذر لأنه متخف حيث إن البوليس السياسى يبحث عنه فى كل مكان.. وفى الوقت نفسه كان يتابع نشاطه من أجل الحصول على لقمة العيش سيما وأنه مسئول عن أسرة ليس له دخل سوى الاعتماد على الله ومجهوده.. وبدأت الحياة تدب فى صفوف الضباط بعد عمليات الاتصال بهم وشعر القصر ورجال الحاشية بالروح التى تسود الجيش وبعدوى السخط التى بدأت تنتشر فيه.. واستمرت عملية تجنيد الضباط تتسع يوما بعد يوم.. ونشط السادات وزملاؤه فى ذلك .. ولكن الحرية لم تدم بالنسبة له طويلا .. فقد كان البوليس السياسى فى كل مكان وأتباعه منتشرين فى كل شارع وناحية فقبض على أنور السادات وعاد مرة

أخرى إلى المعتقل . وإلى الركن الهادئ من حديقة المعتقل الذى كان يجلس فيه مع زملائه يتناقشون ويتسامرون عاد مرة أخرى.. وفى يوم من الأيام كان يجلس مع زميليه محسن فاضل وجلال الدين الحمامصى شاهدوا باب المعتقل الرئيسى يفتح على مصراعيه لتمرق منه سيارة بها ضابط يجلس بجوار السائق وفى المقعد الخلفى أربعة جنود يجلسون على شئ فى أرضية السيارة، وترتفع أيديهم بالضرب من حين لآخر.. وفتحت أبواب السيارة واتضح أن الجنود كانوا يضربون أحد الضباط برتبة صاغ وهو يرتدى ملابسه العسكرية.. وعرفه أنور السادات إنه الصاغ رزق الذى كان مريضا بمرض السكر فى المستشفى وقابله هناك أكثر من مرة حينما كان يتردد للعلاج إلا أن وزير الداخلية أصدر أوامره بخروجه من المستشفى وعودته إلى المعتقل، ولما رفض العودة لشدة مرضه وأيضا رفض الأطباء التصريح له بالخروج أمر وزير الداخلية بإعادته بالقوة.

ولم يتمالك أنور السادات نفسه أمام المعاملة السيئة التى يتعامل بها مواطن قبل أن يكون ضابطا وهجم مع زميليه على الجنود والضابط لتخليص الصاغ رزق والدفاع عن بدلته العسكرية..

وهنا أمر حضرة الضابط جنوده بإطلاق النار وهرول قائد المعتقل إلى الخارج وأمر هو الآخر بإطلاق النار.. وسقط أنور السادات مصابا فى ساقه وزحف المعتقلون لنجدته هو وزملائه ، وهنا دارت معركة بين إدارة المعتقل والمعتقلين أطلق فيها الجنود النار على الشبابيك والأبواب لقتل من تسول له نفسه التمرد على أوامر الحكام.

المعروف فى مصر أن حلاق القرية هو جريدة يومية ناطقة إذ تتجمع عنده جميع الأخبار نتيجة تردد الناس عليه من ناحية ودخوله إلى أماكن كثيرة فى أثناء اليوم يعرف منها آخر الأخبار.. وفى المعتقل كان الحلاق أيضا هو الذى يعلم جميع الأخبار لتردده على المعتقلين وعلى حجرات حضرات الضباط ولصداقته بجندى البدالة..

وانتشرت الأخبار عن طريق حلاق المعتقل عن إصابة أنور السادات وخرج الخبر من معتقل الزيتون إلى معتقل ماقوسيا الذى كان له فيه بعض الزملاء والأصدقاء ، وكان ردهم على إدارة المعتقل إلقاء جميع أثاثه من الشبابيك وتحطيم مكاتب الضباط وإلقاءها فى الطرق .

ويومها سجل الشيخ أحمد حسن الباقورى أبياتا من الشعر يصف فيها حكومة الوفد وبطشها بالأحرار وكان يومها ضمن المعتقلين فى ماقوسيا وقال فى ذلك :

(...) قام خطيبا فوق رابية ينعى على الذئب فتك الذئب بالغنم

فتمتم الذئب فى أذنيه أنت على رأس القطيع أمير نافذ الكلم

فقبل الكبش ناب الذئب معتذرا عما فاه به من سالف الكلم

وقال لشاه حوطوا وارتعوا معه من لاذ بالذئب منكم لاذ بالحرم

وتم نقل أنور السادات إلى المستشفى بعد أن أساءت إدارة المعتقل معاملته بعد حادث الاعتداء عليه .. ويدأ فى التفكير فى الهرب ثانيا ، وتم وضع الخطة بعد أن تمكن زميله حسن عزت الذى تنكر فى زى معلم من أولاد البلد من الهرب من معتقل ماقوسيا ، وقابله فى المستشفى واتفقا معا على خطة الهرب . وفى الموعد المحدد كان أنور مع زميل له معتقل أيضا يتمشيان فى الطرق الطويلة فى عنابر مستشفى قصر العينى وخلفهما على بعد أمتار جنديان مسلحان لحراستهما .. وفى نهاية أحد الطرق المنعطفة كانت تقف سيارة فى انتظارهما .. وقفزا إليها وانطلقت بهما وحينما وصل الجنديان للمنعطف لم يجدا أنور وزميله ، بل شاهدا السيارة التى استقلاها تندفع وسط جمهور المرضى والزوار وخاف الجنديان من إطلاق النار على السيارة التى أخذت تنعطف يمينا وشمالا وسط الجماهير حتى تمكنت من المرور من الباب الخارجى للمستشفى ليعود مرة أخرى إلى الحرية.. وهنا بدأت المعركة مع الحياة من جديد.. لقد تغير كل شىء فى حياة محمد أنور السادات حتى اسمه تغير إلى محمد نور الدين ..

وتنكر فى زى أحد الشيالين بعد أن خلع ملابسه وارتدى أفرولا قذرا وصندلا .. أما زميله حسن عزت فقد اتخذ لنفسه شخصية المعلم .. وعلى خط القاهرة بورسعيد عمل المعلم مع مساعده محمد نور الدين لحساب الإنجليز .. فقد كان ثمن البيضة فى ذلك الوقت ١٢ مليما فرست عليهم بـ ٨ فقط وكان رطل البرتقال بـ ٣٥ مليما فرسا بـ ١٥ مليما .. لكن كيف يتم ذلك .. لقد تم إعطاء جنود صاحبة الجلالة درسا لم ينسوه إذ كان هو وصديقه يأتون بالبيض الفاسد ويضعونه فى أقفاص ثم يضعون على وجهها بيضا طازجا وسليما . ونفس الشيء كان يتم للبرتقال ، فقد كان الانتقام من الجيش الإنجليزى ليس له حدود فى نفسيهما لأن الإنجليز هم السبب فى طردهم من الجيش المصرى .

وفى التل الكبير كانت تتم الصفقات مع قيادة المعسكر حيث كان قومندان المعسكر يأخذ مبلغا من المال نظير السكوت على توريد هذه المنتجات الفاسدة ، وأيضا أركان الحرب ثم بعدهما الباشجاويش .. لقد كان كل منهم يأخذ رشوة .. وفى يوم من الأيام وصلت شحنة من البرتقال تنبعث منها رائحة العفن .. وتوجه المعلم وصبيه إلى القومندان ، ولأول مرة لم يكن سكرانا وقام بهدوء وقال :

– تعالى يا معلم إيه رأيك فى البرتقال اليافاوى ده ؟

وكان البرتقال ملفوفا فى ورق سلوفان .. وهنا رد المعلم إبراهيم قائلا : كويس ، وهاج القومندان وهو يقول :

– كويس يا مجرم « وأخذ فى ضرب المعلم وهو يصيح » أهو ده البرتقال يا ابن الـ .. مش السم اللى بتورده ، أنا حاربت فى اليابان والملايو والفلبين وفى الغابات إلى الآن لم أتعذب إلا منك ومن صبيك.

وفى سرعة كان المعلم إبراهيم وصبيه محمد نور الدين يخرجان بسيارتهما من المعسكر الذى لم يعودا إليه مرة ثانية .

ترك أنور السادات وزميله التعامل مع الجيش البريطانى للعمل فى

إنشاء الطرق بمنطقة حلوان وبعد الاتفاق مع بعض العمال للعمل معهم أقاموا معسكرا في المنطقة الواقعة في كفر العلو .. واستمر العمل الذي كان يبدأ من شروق الشمس حتى المساء يوما بعد يوم .. وكانوا جميعا يتوجهون إلى مسمط الحاجة زكية لتناول الطعام .. وكان المعلم إبراهيم يجلس على طاولة وحده أمام السادات فقد كان يجلس مع باقي العمال بصفته رئيسهم وكانت الحاجة زكية تبادل المعلم النظرات والابتسامات وتهتم بطلباته بشكل خاص .. ومرت الأيام .. ولم يمض الشهر الأول إلا وكانت المعلمة قد وقعت في حب المعلم وصارحت أنور بذلك في إحدى الليالي بعد أن تناول الجميع طعامهم وقبل أن يخرج السادات مع العمال قالت له :

– خذ يا أنور « وأعطته المعلمة جنيه » خليك مع المعلمة وانت تكسب والله لاعملك شيخ السواقين وحبسطك وأدرك السادات قصد المعلمة ولكنه قال متسائلا :

– فيه إيه يا معلمة ؟

– أنت عبيط ولا بتستعبط ، ولا حتعمل زى معلمك أنت مش واخد بالك ولا إيه ـ دا أنا خطبني ناس كتير ومعلمين بشنبات يقف عليها الصقر ورفضت .. لكن معلمك عجبني أصله مقطقط وصغير وكمان أنا عجباه .. بس هو لئيم مش عاوز يورى لكن صفار الحب باين في عينيه .

– طيب وأنا اعمل إيه يا معلمة ؟

– اتلحلح وكلمه دا أنا عندى بيت ملك غير المسمط وشريكة في نصف بيت آخر ، ويوم ما نكتب الكتاب حادندشك وافرفشك واعملك سيد السواقين ويتوب ربنا عليك من الشغلة اللى أنت فيها دى اتلحلح وخليك مع معلمتك .. فهمت .

– حاضر يا معلمة .

وترك أنور المعلمة ولحق بمعلمه وأخبره بحب المعلمة له .. والحديث

الذى دار بينهما .. فى الحقيقة كانت المعلمة زكية شخصية عجيبة يمكن للإنسان إذا أراد أن يصفها وصفا دقيقا أن يستخدم بعض ألفاظ الكاتب الساخر يوسف السباعى ، إذ ينطبق عليها القول الذى يشبهها بأنها جالسة فوق الذهبية وذراعها متختخ زى اللية .. فقد كانت معجبة بنفسها بشكل واضح وبزينتها الكاملة خاصة منذ وصول المعلم إبراهيم إلى المنطقة فقد زادت من زينتها وبالذات فى المواعيد التى كان يحضر فيها المعلم بصحبة عماله ولقد كان يتابع هذه التصرفات « حسان » وهو عامل حلة الكرشة وفى الوقت نفسه متيم بحب المعلمة ويريد أن تكون زوجته وبذلك يتمكن من أن يصبح هو المعلم . ولم يكن حسان سعيدا أو مرتاحا لتردد المعلم إبراهيم وعماله على المسمط .. فقد أحس بأنه أصبح منافسا له فى حب المعلمة التى أصبحت معجبة به . وبدأ يكشر فى وجه المعلم إبراهيم كلما رآه بل عبر عن غضبه بحركة لا شعورية كانت تصدر منه وهى تحريك سكين تقطيع اللحم فى وجه المعلم وصبيه لإدخال الرعب فى قلوبهم ، واستمر هذا الوضع لمدة شهرين انتهت خلالهما عملية المقاولات فى منطقة نفوذ المعلمة .. وهنا ترك المعلم إبراهيم المنطقة وزكية والمسمط وحسان وانتهت قصة حب المعلمة له باختفائه عنها إلى الأبد .. واتسعت دائرة العمل الذى انتقل من حلوان إلى البدرشين إلى جبال سنور وفى أثناء خوض المعركة مع الحياة تذكر أنور شيئا هاما - تذكر أحمد سعودى الذى ترك أخاً فى كلية الهندسة .. وسأل نفسه يومها : ترى ماذا فعل بعد استشهاد شقيقه.. وخرج من هذا التساؤل إلى الجواب .. لابد من البحث عنه .. واستغرقت عملية البحث عدة أيام حيث تم العثور عليه فى منطقة العباسية مقيما مع بعض زملائه الطلبة وكان مريضا .. ويومها أحضر له طعاما وأعطاه نقودا وسدد ديونه ومكث معه بعض الوقت واستمر على اتصال به حتى انتهى من تعليمه فقد كان فى السنة النهائية وكانت

هذه لفتة إنسانية من زميل كفاح لشقيق صديق استشهد من أجل مصر .. إن معركة الحياة لم تنس السادات مصر والأحزاب والحكم ، ففى هذه الفترة كانت المزايدات على الحكم قد وصلت إلى أشهدها ، فلقد كان أحمد ماهر وهو خارج الحكم يهاجم حكومة الوفد لأنها مبقية على الأحكام العرفية ويدافع مصطفى النحاس عن حكومة الوفد فى إبقائها على الأحكام العرفية بأنها كالدواء يعطى للمريض حتى يشفى . وإذا عدنا بالذاكرة إلى عام ١٩٤١ حينما كان الوفد خارج الحكم يومها حمل النحاس على رئيس الحكومة حسين سرى حملة شعواء لبقاء الأحكام العرفية مدعيا أن الأمة لا تستطيع أن تتنفس والأحكام العرفية جاثمة على صدرها .. وهكذا كانت تسير الأمور .. زعماء الأحزاب خارج الحكم يتشدقون بالحريات وداخل الحكم يكبلون الحريات بالحديد والنار .. وسقطت حكومة الوفد .. وعاد أحمد ماهر إلى الحكم .. وبدأت فصول المسرحية الهزلية ، الذين نادوا بإلغاء الأحكام العرفية يدافعون عنها ، والذين أيدوا بقاءها يطالبون بإلغائها .. لقد كان رأى الساسة الذين حكموا مصر وهم فى الحكم غير رأيهم وهم فى جانب المعارضة خارج الحكم .

لقد سقطت حكومة الوفد بعد أن حققت للإنجليز أغراضهم خلال فترة الحرب الحرجة .. وقامت على أنقاضها حكومة بوليسية أخرى برئاسة أحمد ماهر .. وهنا تحركت المنظمات الوطنية التى أسسها بعض الشباب بعد أن فكر أحمد ماهر فى إعلان الحرب على دول المحور .. ولكن سرعان ما قتل واحد من أبناء الشعب الساخط رئيس هذه الوزارة ، قتله فى أحد أروقة مجلس النواب .. وآلت الرئاسة إلى خلفه محمود فهمى النقراشى الذى وجه ضربة قوية إلى صفوف الجماهير .. ففى شهر فبراير سنة ١٩٤٦ أمر محمود فهمى النقراشى الشرطة بإغلاق كوبرى عباس المواجه للجامعة لحصار وتحطيم موجة المظاهرات الطلابية التى كانت على وشك الخروج من

منطقة الجيزة إلى القاهرة .. ثم أمر بفتح الكوبرى على الطلبة ومطاردتهم بالنيران .. وكانت حصيلة هذه المذبحة عشرات من القتلى والمفقودين فى النيل بالإضافة إلى مئات من الجرحى .

ولقد وقعت فى ظل هذه الحكومات البوليسية المتعاقبة مذابح ومآس لم يسبق لها مثيل فى مصر من قبل ، وكانت نهاية محمود فهمى النقراشى هى أن قتله واحد من أبناء الشعب . ثم تولى الوزارة اسماعيل صدقى الذى اندلعت بعد شهور من حكمه مظاهرات الشباب والعمال مطالبة بإلغاء معاهدة الدفاع المشترك التى وقعها بيفن وزير خارجية بريطانيا مع صدقى باشا .. وكانت حصيلة هذه المظاهرات هى استقالة وزارة صدقى .. وهنا عمت مصر حوادث اغتيالات سياسية وحوادث صدام مع قوات الاحتلال ، وانتهى الأمر أمام الضغوط الشعبية إلى إلغاء الأحكام العرفية التى استمرت جاثمة على صدر الأحرار أربع سنوات .. وفتحت المعتقلات حيث أفرج عمن فيها وأصبح السادات وزملاؤه أحرارا .. وترك أنور اسمه المستعار محمد نورالدين وعاد إلى اسمه الحقيقى محمد أنور السادات ..

ويروى حسين عزت « المعلم إبراهيم » قصة طريفة وقعت لهما أثناء العمل على خط بورسعيد مصر فيقول : ذات يوم انشغل أنور السادات بتحميل السيارة التى كنت أعمل عليها كسائق وهو كشيال بالطرود الثقيلة ، وكان يحمل الطرد على ظهره فى ذلك اليوم الحار من الصيف ، وكان يلهث من الألم ، وكان البطل يحنى ظهره ليلقى عليه الشيالون الطرود ثم يعتدل قليلا صاعدا إلى ظهر السيارة فوق إحدى السقالات ، وكنت أجلس فى الظل أشرب شايا وانظر إليه أراقبه بابتسامة خبيثة فقد كنت المعلم ، وإمعانا فى إثارته قلت له : يا واد يا محمد أجرى هات شيشة أحسن الواخد دماغه فاضية ، ونظر إلى نظرة عتاب وخشونة وقال حاضر يا معلمى فلقد كانت الظروف تقتضى عليه أن يمثل دوره ببراعة ودقة .

ولما فرغ من تحميل السيارة أعطيته نقودا وقلت له :

يا واد يا محمد خد الفلوس دول واجرى عبى العربية بنزين وهاتها عالشان نتوكل .

وانطلق بالسيارة محملة وعبأها ، إلا أنه عاد بعد قليل وكان يجره شرطى ، ولحتهما ففكرت فى الهرب لأننى خشيت أن يكون قد وقع فى يد البوليس السياسى وانكشف أمره ولكنى قلت إذا كان قد انكشف أمره فلماذا صحب الشرطى معه .. ولاحظت أنه يلبس برنيطة رجل المرور البيضاء فقلت لابد وأن يكون قد خالف المرور أو أنه ضبط بلا رخصة ، واقتربا منى .. وقال كونستابل المرور :

- يا معلم الواد ده مش حايجبها البر ، دى تانى مر أضبطه سايق العربية من غير رخصة .

هنا اطمأن قلبى لأن المسألة لا تعدو أكثر من مخالفة بسيطة وقلت أن الفرصة سانحة لامزح مع أنور، ومزحت معه يومها مزحا ثقيلا مسكته من ملابسه وأعطيته علقة أمام الشرطى وأنا أصيح فيه :

- أنت مش ناوى تجيبها على بر.. أنت مش حتستريح إلا لما توديتا السجن وده آخر ربايتى فيك .

وتحرك رجل الشرطة قائلا :

- بزيادة بقى يا معلم لاحسن ايدك تقيلة عليه .

ووضعت يدى فى جيبى وأخرجت ورقة بربع جنيه وضعتها فى يد رجل الشرطة وأنا أقول : إحنا مالناش بركة إلا أنت يا حضرة الصول وعلى الله العلقة دى تربيه .

وقبض الصول المبلغ بابتسامة وتظاهر بالخجل وقال :

- خلى يا معلم احنا محاسيبك من غير حاجة .. وتركنا وفى المساء عدنا إلى الفندق وهناك رد لى أنور العلقة بأحسن منها .

بعد أن أسترد السادات هويته الحقيقية وجد أن الحكومات البوليسية أسقطت مئات من القتلى والضحايا من قضاة ومستشارين

وشباب وضباط . وكان لابد من التحرك بعد أن سقطت القوانين والحريات شهيدة تحت أقدام أجهزة البوليس السياسى بالاضافة إلى الفساد الذى عم جميع أنحاء البلاد تارة من خلال الأحزاب ومنظماتها وأخرى من الملك الفاسد وبطانته ومستشاريه من السواقين. والطباخين والحلاقين والأفاقين والانتهازيين المتمصرين والأجانب والدخلاء . وكان لابد من جمع شمل الزملاء وأصدقاء الكفاح فى السجن والمعتقلات والجيش .

وبدأ أنور السادات .. بدأ اتصالاته بالفريق عزيز المصرى ، وفى منزله الذى اعتاد على زيارته فيه سابقا ، التقى به وفى هذه الليلة احتفل الفريق المصرى بأبنه السادات .. فقضى معه وقتا طويلا تناولا فيه العشاء وسهرا حتى الفجر ، وعلى مائدة الطعام وأثناء الجلوس لتناول الشاى كان يدور حديث عن كل شىء وأهم شىء هو كيف تحرر مصر من الاحتلال وكان رأى عزيز المصرى دائما أنه لابد من أن يشعر المحتل أنه لا يمكن البقاء على ألا يكون ذلك بالكلام والخطب الحماسية والشعارات التى تطلقها الأحزاب ، ولكن بالأسلوب العملى الفعال الإيجابى ، وهو ضرب الإنجليز فى الشوارع والملاهى وقتلهم فى أى مكان .. ولكن كيف يتم ذلك ؟ لقد اقترح ليلتها على أنور السادات أنه لا بد من جمع الشباب المؤمن بالتضحية من أجل بلده وتدريبه على مختلف أنواع الأسلحة ، على أن يكون ذلك بعيدا عن التنظيمات الحزبية التى تتاجر باسم الحرية والاستقلال . فلقد كان زعماء الأحزاب فى نظر عزيز المصرى مهرجى سياسة لا أكثر .

ووضع القائد العجوز الخطة التى تتلخص فى مطاردة الإنجليز فى أى مكان .. وبدأ الشباب يعمل وخرجت الصحف تقول :

امتدت يد آثمة مجرمة واطلقت ثلاث رصاصات على ظهر البكباشى هـ . ستيوارت واسلم الروح فى الحال وفر الجانى فى

سيارة كبيرة وكان معه شخص آخر وابتلعهما الظلام ، والبحث جار عن المجرمين .

ثم نشر خبر آخر يقول :

انطلقت النيران بغزارة من مدفع رشاش من داخل سيارة على الرصيف المقابل لمحطة المترو فحصدت الجنود البريطانيين حصدا ، ويرجع الخبراء أنها انطلقت من مدفعين أو أكثر والبوليس جاد للقبض على المجرمين الخونة .

ولا شك فى أن أنجح العمليات التى تمت كانت حادثة محطة مصر.. فقد كان الإنجليز يحتلون المعسكر المواجه لمحطة مصر وبعد دراسة ومراقبة دقيقة رسمت الخطة حيث يتجمع الجنود والضباط لتناول طعامهم فى الساعة السابعة والنصف وفى الوقت المحدد أعطى أنور السادات الإشارة من فوق إحدى العمارات بعد أن امتلأت صالة الطعام بالجنود الذين وصلتهم قنبلتان .. ولقد وصفت الصحف يومها الحادث فقالت :

كانت حادثة بشعة فقد اختلط الطعام بلحم الجنود وشوهدت رأس ضابط بريطانى ملتصق بها قطعة خبز توست ، وبدأ البحث عن الجانى .. غير أن الشرطة عجزت عن الاهتداء إليه وهنا جن جنون قادة بريطانيا العظمى ومخابراتها ، وعلى الفور تقرر تشكيل شرطة مشتركة من الإنجليز والمصريين ، وجهزت لهذا الغرض خمسين سيارة جيب وضع فى كل منها مدافع رشاشة وكانت مهمة هذه السيارات أن تمر فى شوارع القاهرة بهدف المحافظة على حياة الجنود الإنجليز .

وفى أحد الأيام خرجت الصحف برأى لأحد أعضاء مجلس الشيوخ من حزب الوفد يطلب فيه من الانجليز أن يتدخلوا بقوة لضرب العبث والفوضى التى تعم البلاد .. ووقع هذا الخبر على الأحرار كالصاعقة خاصة أن صاحبه يجلس تحت قبة البرلمان ..

واجتمع الأحرار لبحث الموضوع وخرجوا بقرار يقضى بإعطاء الشيخ الوفدى وأمثاله ممن تسول له نفسه بذلك درسا لن ينسى ، وكان القرار ينص على قتله .. واسندت هذه العملية إلى خالد محيى الدين وهو أحد الضباط الذين تولوا حراسة أنور السادات وزملائه داخل المعتقلات والذى تم تجنيده ضمن مجموعة الضباط الأحرار .. وفى السيارة الكاديلاك الخضراء كان خالد محيى الدين يجلس بمقعدها الخلفى وبجانبه مدفع رشاش لاغتيال الشيخ الخائن .. غير أن الحظ لعب دورا فى أن يبقى الشيخ على قيد الحياة إذا أصيب بمرض منعه يومها من الخروج وفى الوقت نفسه كان البوليس السياسى يراقب جميع التحركات حول منزل الشيخ الوفدى وشاهد يومها السيارة الخضراء .. كما أن الحظ كتب أيضا لخالد محيى الدين أن يفلت من القبض عليه متلبسا بتهمة القتل لو أنه تمكن من الشيخ الوفدى . إن متابعة اغتيال جنود الاحتلال تحتاج إلى المزيد من الأسلحة وخاصة القنابل اليدوية حيث يسهل حملها بالاضافة إلى أن اصاباتها مؤكدة وكان لابد من الحصول على عدد منها .. ولهذا قام أنور السادات بزيارة لزملائه الضباط العاملين الذين تربطه بهم علاقة وطيدة .. وصارحهم بحاجته إلى سلاح وقنابل يدوية يومها قال له مجدى حسنين :

– عاوز كام قنبلة ؟

– اللى تجيبه يا مجدى انشالله مية .

– وناويين تضربوا بيهم مين ؟

– أسيادنا الإنجليز .. عاوزين ندبر معركة بينا وبينهم ليعرفوا أن بقاءهم فى مصر مستحيل دا بالاضافة إلى أننا سنعطى درسا للخونة وخصوم الوطنية .

وهنا ضحك مجدى حسنين قائلا :

– يعنى حتضربوا على كده كل الزعماء .

فقال السادات متهكما :

- أهو صاحب النصيب هو وبخته .

ويومها طلب منه مجدى أن يشترك الضباط فى هذه الحركة ، ولكن أنور شرح له أنهم قرروا أن يكون الجيش بعيدا عن هذه الأعمال لكى لا يتحمل مسئولية وقوع أى ضابط فى المحظور .. فيدفع الجيش الثمن ، وكانت هدية أنور وزملائه التى قدمت فى هذه الزيارة ١٢ قنبلة يدوية تناولها وهو يقبلها فى شغف ويفكها ويفحصها وقال :

- وقعتوايا أسيادنا ، أعمل معروف يا مجدى اتحفنا كمان بصندوقين أو ثلاثة خلينا نهادى حبايبنا وحبايب حبايبنا .

وتكررت الزيارات التى تم تزويده فيها بالمتفجرات والقنابل اليدوية والمسدسات والطلقات وتم الحصول على هدية أخرى من الصاغ وجيه خليل كانت عبارة عن مدفعين رشاشين .

واستمرت حركة الاغتيالات يوما بعد يوم ونجحت المجموعة بل زاد نجاحها عندما بدأت فى مد الجماعات الأخرى من الشباب بالسلاح والقنابل .

●●●



صفحات
من حيـــاة
أنـور الســادات

إننى هنا لأخـضع وأرحب بأقـسى عـقـوبة سـتـوقـع على لما يقـول عنه القانون إنه جريمة متعمدة فى حين ظهر لى أن ما قمت به واجب أسمى .
« غاندى عند محاكمته »

الفصل السابع

٢٠ شهـرا فى سجن الأجـانب

نشطت حركة الاغتيالات وفى الاسكندرية نظم طلبة جامعة الاسكندرية إحدى هذه الجماعات ثم جاءت عصابة حسين توفيق التى أبلت بلاء كبيرا فى تحركاتها وفعالياتها . وتجمع الشباب ضد الإنجليز يلزمون معسكراتهم خوفا من المصريين الذين امتلأت المعتقلات بهم مرة ثانية وذلك حينما لجأت الحكومة البوليسية القائمة إلى ذلك للحد من مهاجمة الشعب الغاضب للمعتدى والخونة الذين يعملون معه . ولقد تمكن حسين توفيق من اغتيال أمين عثمان وألقت الشرطة القبض على القاتل الذى تم التحقيق معه غير أنه أصر على عدم الاعتراف ولزم الصمت المطبق ، واستطاع كامل القاويش وكيل النيابة الذى تولى التحقيق أن يلعب بأعصابه بقصة مختلقة إن دلت على شيء فعلى ذكاء القاويش وإدراكه الصحيح لنفسيات من يقوم بالتحقيق معهم . فقد أدرك أن حسين توفيق قد قام بهذا العمل كعمل من أعمال البطولة يريد أن يذكره له التاريخ ، فأراد أن يطعنه فى حلمه العزيز طعنة دامية تجعله ينسى عهده للجماعة التى عملت معه ويبوح بكل شيء .

وذهب وكيل النيابة إلى إحدى الصحف الكبرى ، وأملى عليها خبرا مؤداه أن التحقيق قد أسفر عن وقوع الحادث لأسباب نسائية وجعل فى الخبر تلميحا إلى قيام صلة بين أمين عثمان وسيدة عزيزة

جدا على القاتل حسين توفيق .

وفى الصباح دعا القاويش القاتل إلى مكتبه .. وأطلعه على هذا الخبر .. وجن جنون حسين توفيق لقد قتل أمين عثمان وفى يقينه أنه يعمل عملا من أعمال البطولة الوطنية فكيف يقبل أن تذهب كل هذه البطولة هباء وأن تلوث أيضا سمعة أسرته وسمعة أعز النساء عليه .. وانفجر يعترف .. يعترف بالجماعة التى دبرت هذا الحادث وأسماء أعضائها وأهدافهم وأماكن اجتماعاتهم وتفاصيل ما يملكون من أسلحة أى أنه اعترف بكل شىء .. وكان أنور السادات ممن شملهم اعتراف حسين توفيق حيث كان هو حلقة الاتصال بين الضباط الأحرار ومختلف التنظيمات ومنهم تنظيم حسين توفيق الذى ذكر اسمه فى التحقيق .

وعلم السادات بذلك .. وكان لابد أن يتخذ أمرا لأنه فى هذه المرة عليه شهود ولم يترك لتفكير مجالا ، فقد قرر الاختفاء عن أعين الشرطة ، فقد تعود على ذلك من قبل ، ولكن هذه المرة ترك القاهرة إلى إحدى قرى مديرية بنى سويف وهى فى الجزء الأول من صعيد مصر . ووسط النيل اتخذ السادات من قرية سنور التى تتكون من بعض النجوع مكانا للاختفاء سيما وإنه كانت تربطه صداقة مع عمدتها الحاج صبرى شعيا واتفق السادات مع الحاج على أن يظهر أمام أهالى القرية فى صورة الحاج محمد نور الدين وهو اسمه المستعار الذى تعود عليه وأطلق لحية صغيرة لتغيير معالمه .. وعاش السادات بعيدا عن مجريات الأحداث والتحقيقات التى تسير فى قضية حسين توفيق والتى أصبح فى يوم وليلة أحد المتهمين فيها .. إن قرية سنور تبعد عن البندر أى المدينة كثيرا خاصة أنها جزيرة فى وسط النيل وهذا يعنى أن الحركة إليها ومنها بسيطة جدا ولهذا فإن

وصول الأخبار إليها يجد صعوبة بالإضافة إلى أن القرية لا يوجد فيها كهرباء ولا راديو يمكن عن طريقه معرفة الأخبار ولم يكن الناس فى مصر قد عرفوا الراديو الترانزستور فى هذا الوقت . ولهذا فقد قرر السادات أن تكون هناك صلة بينه وبين صديقه حسن عزت لكى يعرف عن طريقه الأخبار .. وعلى الفور أرسل إليه رسالة يخبره فيها عن مكانه .. وفى أحد الأيام وصل المعلم إبراهيم بهجت « حسن عزت» إلى قرية سنور والتقى بزميل الكفاح ورفيق السجون والمعتقلات الذى عرف منه كل التفصيلات بالنسبة للتحقيق الخاص بمقتل أمين عثمان وبعد دراسة دقيقة للموقف قرر السادات وحسن عزت العمل فى المنطقة .. وبمساعدة العمدة تمكنا من الحصول على مقاولات من شركة المناجم والمحاجر وكان موقع العمل يبعد عن القرية بحوالى ٧٠ كيلو وكان فى الجبل .. وطابت لهما الحياة .. التى كانت تبدأ فى الصباح الباكر فى موقع العمل وتنتهى فى المساء فى الاستراحة التى جهزت بمعرفة العمدة .. وعلى ضوء « الكلوب » وهو الجهاز الوحيد الذى ينبعث منه الضوء فى الليل كان يلتقى السادات فى الاستراحة ببعض زملائه لتدارس الموقف ولمعرفة مجريات الأمور وإلى أى مدى وصل التحقيق ..

وفى يوم من الأيام علم العمدة بأن البوليس السياسى سيهاجم القرية وأبلغ السادات بهذه المعلومات التى وصلت من زملائه وعلى الفور اتخذت الترتيبات الخاصة بهروبه .. وجهز له قاربا تم بواسطته نقله إلى المدينة حيث ركب منها القطار الذى عاد به إلى القاهرة ، ولما وصلت الشرطة إلى القرية لم تجده وعرف الناس يومها أن محمد نور الدين هو أنور السادات .. وفى حى السيدة زينب اتخذ له مسكنا وكان يخرج فى الصباح ليبحث عن رزقه وفى المساء يعود للراحة ..

ولم يمضى على ذلك أكثر من شهرين وفى ذات ليلة وهو عائد مع منتصف الليل وكان التعب قد فاض به حتى أنه فور دخوله جلس على المقعد فى حجرته قبل أن يضىء النور ليستريح قليلا من عمل اليوم.. وقبل أن ينهض من مكانه وجد مسدسا موجها إلى رأسه ، وحينما رفع عينيه ليتبين الأمر وجد أنه يستقبل ضيفا عزيزا يعرفه تماما فقد كان أحد ضباط البوليس السياسى ، وفى قسم الشرطة بالسيدة زينب نزل أنور السادات ضيفا .. ويومها علم أن حسين توفيق ذكر فى اعترافاته أنه ارتكب ٤٢ حادثة قتل وشروع فى قتل .. وفى العرض القانونى الذى تم تعرف حسين توفيق على أنور السادات وبذلك أصبح فى لحظة واحدة أحد المتهمين فى قضية أمين عثمان .

واستمر التحقيق مع السادات لمدة خمسة عشر يوما أرسل بعدها إلى السجن .

واستقبل السجن اليوزباشى السابق محمد أنور السادات الذى نزل فى الغرفة رقم ٥٤ .. لقد عاد إلى هذا المكان مرة أخرى وهو ليس بالغريب عليه ، بل ولم ينسه ، فله ذكريات مضت منذ مأموره السابق المستر هكمان وكيف استقبل أول مرة عقب فصله من الجيش وعادت الذكريات إلى مخيلة الشاب الأسمر .. إنها ذكريات بعيدة .. وذكريات قريبة وظلت الذكريات تدور فى عقل أنور السادات ذكريات حريق الاسكندرية يوم ١١ يوليو عام ١٨٨٢ .. المشانق التى علقها الاستعمار فى دنشواى ، الشهداء الذين سقطوا فى ثورة ١٩١٩.. أحمد سعودى .. ثم أين هو الآن ؟..

حقا لا توجد حرية بلا فداء فلقد قال أمير الشعراء أحمد شوقى يوم دنشواى :

نيرون لو أدركت عهد كرومر لعرفت كيف تنفذ الأحكام

السوط يعمل والمشانق أربع متوحدات والجنود قيام
والمستشار إلى الفظائع ناظر تدمى جلود حوله وعظام
وعلى وجوه الثاكلين كآبة وعلى وجوه الثاكلات رغام

وظلت الذكريات تطوف بمخيلة أنور السادات وهو مستلق فى سريره فى الحجرة رقم ٥٤ .. ذكريات ذلك اليوم الذى أعلن فيه السفر إلى جبل الطور . وكان ذلك فى شهر سبتمبر عام ١٩٤٤ فى نهاية حكم الوفد حينما أصدر الحاكم العسكرى وقتذاك أمره بترحيله مع زميلين له إلى هناك على إثر مشادة بينهم وبين إدارة السجن .. يومها كان فى انتظار وصول الطوافة التى ستقوم بنقلهم إلى جبل الطور فهى لا تسافر إلا مرة واحدة كل شهر ، ولكن هذه الرحلة لم تتم لأن الإنجليز تدخلوا بعد أن ثاروا على المسئولين ، فقد كان السادات وزملاؤه مقبوضا عليهم على ذمة السلطة البريطانية فكيف لم تستشر تلك السلطة فى أمرهم .

وأخذت الذكريات تندفع فى رأس السادات عن الماضى .. وتناسى أنه هنا هذه المرة لاتهامه فى قضية مقتل أمين عثمان ، ولكنه نظر حوله فقد أحس أنه فى حالة أفضل هذه المرة ، فهو ليس تحت قسوة الأحكام العرفية بل على ذمة النيابة وذلك يكون بالنسبة لأى متهم أفضل بكثير من أن يكون على ذمة الحاكم العسكرى .

وبدأ فى تعويد نفسه على السجن مرة أخرى ، وطلب من مأمور السجن ضرورة إحضار ملابسه من سجن مصر الذى كان يقيم فيه فى أثناء فترة التحقيق معه ، وكرر طلبه أكثر من مرة ولكن دون جدوى . ووجد نفسه مضطرا إلى الشكوى للنائب العام الذى كتب إليه خطابا شديد اللهجة يشرح فيه المعاملة السيئة التى يلقاها من مأمور السجن والإهمال الكامل فى تركه بدون ملابس ، وفى اليوم

الثانى صدرت التعليمات لمأمور السجن بإحضار ملابسه وإعداد حمام ساخن له . ولقد كانت الفسحة فى السجن معدومة وكان يقضى داخل الغرفة المظلمة الشديدة الرطوبة طوال النهار والليل مما جعله لا يطيق هذه الحياة .. بالاضافة إلى سوء المعاملة التى كان يجدها من المسئولين فى السجن ، فقد كان يتم إيقاظه من النوم فى الساعة الثالثة صباحا لإجراء التحقيق معه وكان يترك ما يقرب من ساعة فى جو هو أقرب إلى الثلج ليحطموا نفسيته بالاشتراك مع سكون الليل والبرد الشديد . وسأترك السادات بنفسه يصف هذه الليلة وأسلوب التحقيق الذى آمن من خلاله أن نار الحاكم العسكرى أرحم من جنة النيابة .. « ٣٠ يناير ١٩٤٦ فى الساعة الثالثة من صباح اليوم ، كان مشهدا مسرحيا رائعا .. فقد استيقظت فى الساعة الثانية صباحا على صرير فتح القفل ودفع المزلاج بشدة للخلف ثم دخل الضابط الجزار وطلب إلىّ أن ألبس لأننى مطلوب للتحقيق ، فقمت من تحت البطاطين ولبست بذلتى وجلست على السرير لأنتظر ما يقرب من ساعة فى جو هو الثلج تماما ، ثم عاد الجزار وقادنى إلى الطرقة الخارجية حيث وجدت ثلاثة من الشبان ينتفضون من شدة البرد مثلى ، وكان أول أثر انطبع فى ذهنى عند رؤيتهم أنهم طلاب فى الابتدائى أو على الأكثر فى أوائل الثانوى - وأمرت أن أقف مع هؤلاء الأولاد ، ولكن بعيدا قليلا بحيث وقف الجزار وتوفيق السعيد بينى وبينهم وظللنا صامتين فترة ولدت فى نفسى بالاشتراك مع سكون الليل وبرد الجو الشديد رهبة هى مزيج من الخوف والقلق ، وأردت أن أحول فكرى عن هذه الرهبة فتوجهت بالحديث إلى توفيق سعيد أسأله عن أخيه وهو زميل لى بالجيش ولكنه رد بخشونة طالبا إلى السكون لأن « البك وكيل النيابة » فى

الطريق ، فزادت هذه المعاملة من اضطرابى .. ومضت فترة قد تكون قصيرة ، ولكن خيل إلى أنها أيام ، ثم خرج إلينا وكيل النيابة ونحن فى موقفنا هذا ، ورأيته أول ما رأيته يزيح ستارة الغرفة رقم ٢ الخضراء ويقف قليلا حيث انعكس عليه ضوء الغرفة ، ثم تقدم إلينا فى خطوات ثقيلة ، وبدأ بالثلاثة الصغار فتفرس وجوههم ثم أتى إلىّ متفرسا فى وجهى ، وفى لهجة عميقة سألنا من منكم يعرف الآخر ؟ فتعرف أحد الثلاثة على الاثنين الباقيين وهو ينتفض ، ولم يتعرف علىّ أحد ، ثم كرر هذا الأمر مشيرا إلى بشكل ذكرنى « بأبو حجاج» يقصد عميد المسرح يوسف وهبى - وهو يمثل رجل الساعة فى برنتانيا ، ولكن لم يتعرف على أحد فأمر بإعادتى إلى غرفتى حيث لم أنم إلى الصباح .

وتكرر نفس المشهد التمثيلى مرات أخرى فى الساعات الأولى من الصباح ولكن فى كل مرة ثلاثة وجوه جديدة .. وبدأت أشعر بتعب وارتباك عصبى شديد لذلك أرسلت للنائب العام برقية استنجد به وأطلب مقابلته بحضور محام .

واستدعانى وكيل النيابة فى الظهر وكان فى يده البرقية وحقق معى بشأنها ، فرفضت الإدلاء بسبب ارسالها إلا بحضور المحامى سواء أمام النائب العام أو أمام المحقق ، ولما أعلمنى باستحالة ذلك لسرية التحقيق أجلت الإدلاء بما أريد إلى فرصة أخرى » .

وطال التحقيق الذى استمر أكثر من عام ، أما القضية فقد نظرت فى عام وثمانية أشهر ، وقرر أنور السادات بعد أن وجد أن الإقامة سوف تطول فى السجن ضرورة التفكير فى أن يسود جو الألفة والمحبة والإخاء باقى زملائه المتهمين ، وعقد من أجل ذلك عدة جلسات تم خلالها مناقشة الوضع وحالاتهم واستقر رأى الجميع على القرارات التالية :

١ - يتم توزيع جميع الحلويات وما شابهها التى تأتى لأحد المتهمين على الجميع .

٢ - حيث إن طعام متعهد السجن فى غاية الرداءة ، وليس فيه أى نوع من أنواع التشويق فيتم اشراك أولئك الذين يأكلون طعام المتعهد فى الطعام القادم من الخارج لأولاد الناس الطيبين .

٣ - التفاهم مع إدارة السجن على السماح لهم بشطرنج وكوتشينة وأيضا التدخين .

٤ - على كل من يرى امرأة جميلة من شباك سجن النساء أن يخطر الباقين لمشاهدتها أثناء الطابور والغزل ممنوع ويكتفى بالمشاهدة .

٥ - إصدار مجلتين اسبوعيتين تتضمنان الحوادث العامة والتعليق عليها ونقد المتهمين أنفسهم والتعليق على ما يدور من حوادث فى السجن .

هذا ، بخلاف أى مواد أخرى يتفق على إضافتها وابتكارها رئيسا تحرير المجلتين .

وقد صدرت فى سجن الأجانب بتاريخ ٣ يوليو ١٩٤٦ توقيع .

وفجأة تحولت غرفة سجن الأجانب إلى خلايا ، فقد شمر كل رئيس تحرير مجلة عن ساعديه .. وسيم خالد يحاول أن يدعم هيئة التحرير الخاصة به .. كذلك محجوب الجابرى يتفنن فى اختيار نوع الورق والأقلام الملونة التى ستصدر بها مجلته .

وفجأة دوت إشاعة بين المحررين .. سرت بين المتهمين كما تأتى النيران على كل شيء ، وسيم خالد قرر منح المقالة الجديدة أو القصيدة الموزونة سيجارة .. والسيجارة فى السجن أندر من الذهب.. وسارت الحياة داخل السجن تارة فى هدوء وأخرى فى

صخب ومن الغرفة رقم ٥٧ انبعثت صرخات رئيسى تحرير المجلتين وصل إلى التشابك بالأيدى . لقد كان سبب العراك أحد المحررين ، كل يريد أن يحتكر إنتاجه ، ولم تحل المشكلة إلا بعد أن اتفق على أن يكون المحرر من نصيب رئيس التحرير الذى يزيد من ثمن المحرر وفاز وسيم خال بالمحرر فقد دفع ثمنا له أربع سجائر ، وبدأت المنافسة بين محررى المجلتين .. فقد انتهز وسيم وأسرة تحريره وجود سكرتير تحرير المجلة الأخرى فى دورة المياه وسرقوا الأوراق الخاصة بالمجلة والمسودات ، وكادت تقع بين الفريقين مشكلة ضخمة وتدخل أنور السادات مع بعض أولاد الحلال وتمكنوا من حل النزاع الذى انتهز فيه وسيم الفرصة وساوم على إخراج أحد محررى المجلة المنافسة له نظير رد الأوراق والمسودات وتم له ذلك .

وخرج إلى حيز الوجود العدد الأول من المجلة وقد عبر المحررون فيه عما يجيش فى صدورهم وجاء حافلا بالموضوعات الشيقة والشعر والزجل .

ولنقرأ معا هذا الزجل الذى يقول كاتبه فيه :

الأولة : بقتل أمين عثمان تهمونى .

والثانية : لبطح مصطفى النحاس سجنونى .

والثالثة : عالاتفاق الجنائى لامونى .

الأولة : بقتل أمين عثمان تهمونى .. وأنا مظلوم .

والثانية : لبطح مصطفى النحاس سجنونى وليه يا قوم .

والثالثة : الاتفاق الجنائى لامونى .. كفاية هموم .

الأولة : بقتل أمين عثمان تهمونى .. وأنا مظلوم ليه يشنقونى ؟

والثانية : لبطح مصطفى النحاس سجنونى وليه يا قوم تجننونى .

والثالثة : عالاتفاق الجنائى لامونى .. كفاية هموم وسيبونى !

* ولقد انفردت المجلة بأخبار طريفة عن بعض المتهمين منها :

دخل أحد اللصوص حجرة عمر حسين أبو على لتأدية واجبه كالمعتاد ولكنه لم يعثر فى الحجرة على آثار المأكولات ، فرق قلبه لما تبين حالة الفقر التى كانت تظهر على الحجرة وترك فيها موزة وثلاث بلحات لله !

* قال لنا فريق سابق إن السيجارة فى السجن أثمن من فردة كاوتش برة !

* تتناقل الألسنة فى هذه الأيام أن أنور السادات وقع فى غرام سجن النساء .. والحب أعمى كما يقولون .

* توفيت اليوم المأسوف على خدودها « تفاحة هانم » حرم حسين توفيق أحمد بن توفيق باشا أحمد ، وقد حدثت الوفاة فى بطن المفجوع الكبير واللص الشهير عمر حسين أبو على والمجلة تنعى «تفاحة هانم » قياما بالواجب فقط لا تهييجا للخواطر .

كماحوت المجلة وليمة ضخمة دسمة من الموضوعات الشيقة .

إن حياة السجون والمعتقلات كثيرا ما يكون فيها ذكريات منها الطريف ، ومنها الأليم ، وبجانب ما حوته الأيام والليالى من ذكريات عنيفة شاقة ، فقد كان فيها أيضا الشىء الذى يساهم فى إدخال السرور والبهجة . ففى إحدى الليالى الباردة وكان المطر ينهمر باستمرار (وكان ذلك فى يوم ٤ فبراير ١٩٤٦) وقد مضت سنتان على فرض الإنجليز حكومة الوفد التى جاءت إلى الحكم على أسنة الرماح .. كان أنور السادات فى حجرته بالسجن يتذكر هذا اليوم وكيف أن الحكام الفاسدين ما يزالون على قمة البلاد وفجأة فتحت سنية الفراشة والسجانة فمها لتحدث العسكرى السجان عن قصة الغرام التى يشهدها السجن بين ليلى الهندية والمسجون رقم ١٩ ،

فلقد تقدمت إلى مأمور السجن بطلب ليسمح لها بوقت أطول فى فسحته لكى تتمكن من الحديث معه ومناجاته .

ويقول أنور السادات فى ذلك .

« دفعنى الفضول لرؤية هذا « المحبوب » وبكل عناد تمكنت أن أراه لمدة نصف دقيقة على الأكثر فوجدته يستحق إعجاب ليلى فعلا إذ كان شابا أشقر الوجه ذا أنف رومانى وشعر أصفر ، وتقاطيع متناسقة وقد علمت فيما بعد أنه يدعى محمد إبراهيم كامل » .

ويصف يوما استيقظ فيه فى الصباح الباكر ، ولكن ليس على صوت فتح الباب بقوة وأخذه من تحت البطاطين ، ولكن على صوت حنون يغنى كليوباترا وآهاتها .. « إنه صوت ليلى ينبعث من الغرفة المجاورة فلقد امتزجت البراءة مع رقة الأنوثة فى إخراج هذا النغم الساحر حتى خيل إلى أنه ليس صوت بشر .. إننى أعشق الموسيقى بكل جوارحى وأكثر من ذلك فهى تضفى على هذا الجو الرهيب لونا خفيفا طليا من الجمال الذى يرتفع بالنفس إلى آفاق الروح فينسى الإنسان الزمان والمكان والأشياء .

أستغفرك اللهم وأحمدك حتى ترضى »

●●●



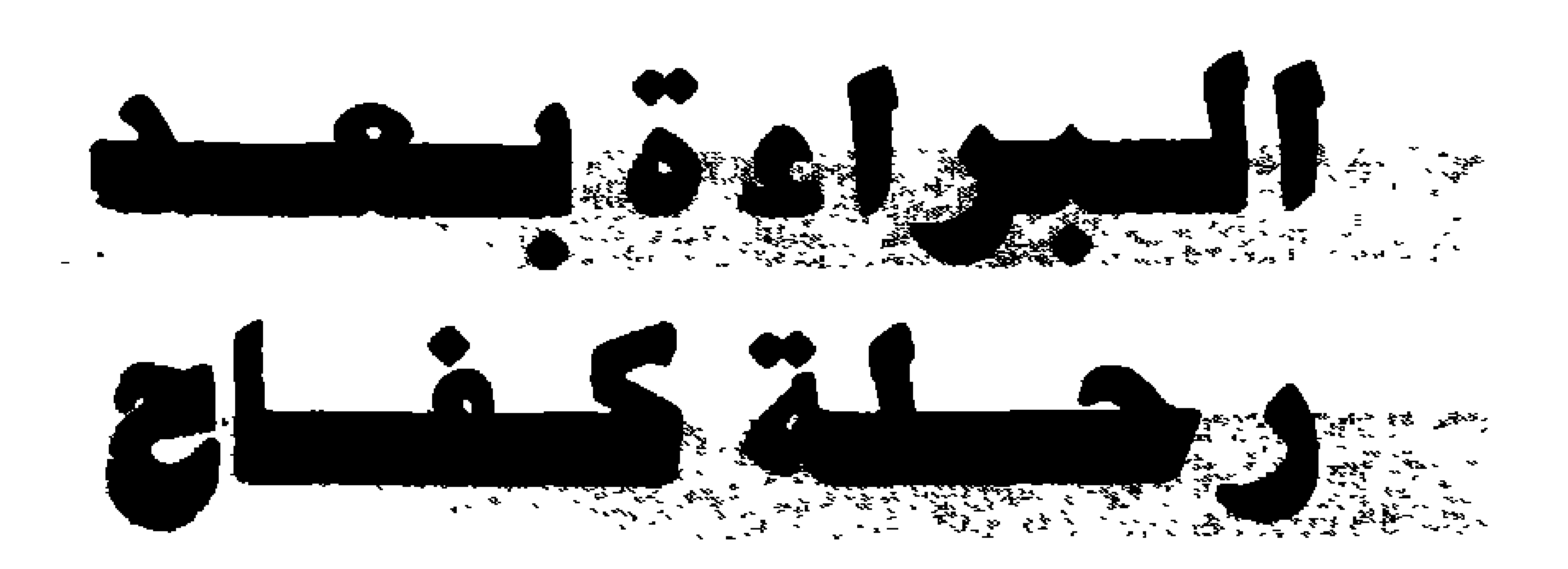
صفحات

من حياة

أنور السادات

يا نفسي اثبتي ولا تضعفك الدنيا ،
واعلمي أن الحكم لله والأمر لله ،
واحتفظي بالقوة والعزة فعودي إلى
ربك راضية مرضية وادخلي جنته .
« أنور السادات »

الفصل الثامن



واصل زملاء السادات رحلة الكفاح .. وانتظروا مناسبة احتفال انجلترا بعيد النصر فى الحرب العالمية .. ووضعوا خطة تهدف إلى نسف مقر الحفل فى القاهرة الذى انتشر حوله رجال المباحث لحماية ضباط بريطانيا العظمى وزوجاتهم ..

وتمكن أحد المجاهدين من دخول قاعة الرقص زحفا .. وألقى بقنابله مرة واحدة فسقط فى وسط حلبة الرقص .. وتمكن من النجاة من النسف بأعجوبة .. وسمع صوت الانفجار الذى هز القاهرة .. وخرجت الصحف فى اليوم التالى تصف الحادث فقالت :

« لقد اختلط اللحم الآدمى الغالى بأرجل الموائد والكراسى .. وكانت بحق مجزرة .. وانقلب اللهو إلى صراخ .. والرقص إلى مأتم.. وأسرعت سيارات الإسعاف إلى مسرح المأساة لنقل الجثث منه بالعشرات والجرحى بالمئات .. فلقد قتل فى هذه العملية ٤٢ ضابطا وأصيب ١٢٠ بعاهات مستديمة .. إن الهدف من هذه العملية التى قام بها زملاء السادات هو إعطاء دليل مادى على براءته مما هو منسوب إليه ، خصوصا اشتراكه فى قضية أمين عثمان التى حاول وكيل النيابة أن يحمله خلال التحقيق على الاعتراف .. ولكن باءت جميع جهوده بالفشل .

لقد كان الشاهد الوحيد الذى رأى أمين عثمان هو المهندس

عبد العزيز الشافعي الذى أخبر الشرطة عن شخصية القاتل وذكر يومها أنه ابن توفيق باشا أحمد وكيل وزارة المواصلات .

وفكر زملاء السادات فى الانتقام من الشاهد ولكن محاولاتهم باءت بالفشل . كما صرف النظر عن موضوع فكرة اغتيال وكيل النيابة أيضا .

واستمر وكيل النيابة فى استجواب المتهمين لمدة ١٣ شهرا وتمكن من الحصول على اعترافات موقعة منهم جميعا بحوادث القتل التى ارتكبوها باستثناء أنور السادات الذى بذل معه كل الوسائل لحمله على الاعتراف ، ولكن تحطمت أمام جموده كل المحاولات حيث كان كالصخرة العاتية ..

واهتدى تفكير زملاء السادات إلى ضرورة العمل على إخفاء جميع أوراق القضية التى حولت إلى المستشار لاتخاذ قراره فيها لإحالتها إلى محكمة الجنايات .. وتم وضع الخطة التى تلخصت فى محاصرة منزل المستشار والدخول إليه بحثا عن أوراق القضية .

وفى منتصف الليل وصلوا إلى منزل المستشار ، وكانت الرياح تهب حاملة معها أوراق الإعلانات القديمة الملقاة فى الشوارع ، وكان ضوء القمر الشاحب فى هذه الليلة يتلاشى تدريجيا فوق المنزل ليزداد الظلام حلكة ويلف المدينة الهاجعة بسواده .

وإلى حديقة المنزل قفزوا فى طريقهم للمنزل الذى تم تفتيشه بدقة ، وفى النهاية لم يعثروا على ورقة واحدة ، فقد كانت جميع أوراق القضية موضوعة فى حجرة الحارس فى أقصى الحديقة ولكن لم يفطن أحد لذلك ولما فشلوا فى العثور على أوراق القضية فكروا فى اغتيال المستشار لكنهم عدلوا لأنهم وجدوا أن ذلك لن يغير القضية ، ثم ما ذنب المستشار وهو رجل يؤدى واجبه ..

وبزغ الفجر حاملا معه نسمة باردة ، وتسلل ضوء شاحب يعلن عن بدء اليوم الحاسم .. إن زملاء السادات ما زالوا منتشرين حول بيت المستشار .. وسمعت من الشارع المجاور الأصوات المبكرة للمدينة التى أخذت تستيقظ .. فمن أصوات وقع الأقدام إلى صرير عربات الترام إلى أبواق السيارات .. وبعد فترة .. انفتح باب المنزل لتظهر منه سيارة المستشار .. وهنا أسرعت السيارة الكاديلاك الخضراء واعترضت طريق المستشار الذى وقف مندهشا إذ وجد بعض الرجال يندفعون نحوه ، وفتحوا سيارته بكل عنف وهنا صاح فيهم المستشار بقوله :

- إيه ، فيه إيه .. انتم اتجننتوا ؟

وبأسرع مما هو متصور تم تفتيش السيارة .. ولكنهم لم يجدوا بداخلها ورقة واحدة .. وتركوا المستشار الذى تابع سيره فى دهشة من هذا التصرف الغريب .

وقرر زملاء السادات الانصراف بعد فشلهم فى العثور على أوراق القضية ، غير أنهم شاهدوا فجأة ساعى المحكمة يحمل ملفات القضية على إحدى الدراجات فى المقعد الخلفى .. وكان منطلقا بها فى اتجاه شارع محمد على متوجها إلى المحكمة .. وعلى طول الطريق إلى المحكمة كان رجال اللواء سليم زكى قائد البوليس السياسى منتشرين إذ كانوا يتوقعون حدوث هجوم على ملفات القضية وهى فى طريقها إلى المحكمة .. وتمكن زملاء السادات من اللحاق بالساعى عند أول شارع محمد على .. واندفعوا بسرعة نحوه .. وصدموا الدراجة التى كان يركبها وقفزوا من السيارة وأخذوا فى جمع الأوراق من الشارع .

وقام الساعى وهو يصيح : الحقونى .. الحقونى ملفات أمين

عثمان ، وتعجب المارة من هذا المشهد الغريب .. سيارة تصدم دراجة ثم تقوم بنهب الأوراق التى تحملها .

وتنبه أربعة من رجال البوليس السياسى إلى الموقف وذلك بعد استغاثة الساعى وهجموا على السيارة الكاديلاك التى تمكنت من الانطلاق بسرعة جنونية حاملة الصيد الثمين .

وفى المحكمة عرف المتهمون بقصة خطف ملفات القضية ، فعدل الجميع عن أقوالهم التى سبق أن اعترفوا بها ، إلا أن القضية احيلت إلى محكمة الجنايات ولكن بأقوال جديدة متضاربة مما ساعد على ارتفاع الروح المعنوية للمتهمين . وإلى ساحة العدالة ذهبت القضية إلى القضاء ليقول كلمته ، ويصف الرئيس السادات هذه الفترة بنفسه فيقول :

« وأخيرا ، بدأ نظر القضية ، بعد عامين طويلين طفحا بالألم ، ولكن الله لطيف وجميل ، فإذا شاءت إرادته أن يحنو ويرحم يملأ النفس بحلاوة الأمل . وها هو الأمر قد أوشك أن يبين ، وهأنذا داخل القضبان فى الغرفة رقم ٥٤ اتحدث إلى نفسى حديث المسافر الذى أوشكت رحلته على النهاية ، فهو متعب من طول الطريق .. ومن طول ما تحمل من مشقاته ، وهو جزع من صدمة الوصول ورهبة اللقاء ، لأن نفسه قد أذابها الأمل وأحرقها الفراق » .

خرجت الصحف لتصف لقرائها وقائع المحاكمة ، ولقد شاهدت الجماهير أثناءها صندوق الدنيا الذى يعرض فيه حكاية « السفيرة عزيزة» و « يونس الجميل » و « الفارس الغضبان » ووقف فى ساحة المحكمة ١٢ شاهدا من شهود الإثبات بينهم مصطفى النحاس و ١٠ شهود نفى منهم على ماهر وحسين سرى .. وقرأت الجماهير أعجب أقوال يمكن أن تصدر من أفواه أناس حكموا البلاد مدة ربع قرن أو يزيد .

وأدى الجميع الشهادة من عصابة السياسيين وأتباعهم من البوليس السياسى .. فقد خرجت الجماهير من هذه المحاكمة الطريفة بصورة واضحة عن الساسة والسياسيين حكام البلاد .

بقى شىء مهم .. قدسية العدالة وسمو نزاهة القضاة فقد كان درسا بليغا ذلك الذى لقنته المحكمة للشهود أثناء استماعها إلى شهاداتهم .. وفى آخر جلسة قرر القاضى التأجيل للنطق بالحكم .. وعاد المتهمون إلى السجن .. واقاموا مهرجانا للترويح عن أنفسهم ، وكان المهرجان عبارة عن سهرة فى قصر هارون الرشيد .. واشترك المتهمون فى تأليف الرواية وتمثيلها وإخراجها .. والاستمتاع بها فى وقت واحد .. ووزعت الأدوار عليهم كالآتى :

أنور السادات : فى دور هارون الرشيد .

حسين توفيق : فى دور السياف عبد الله .

السيد خميس : فى دور القهرمانة وكبيرة القيان .

سعيد توفيق : فى دور كبير الحجاب .

مدحت فخرى : فى دور شهرزاد الراقصة المغربية .

عمر أبو على : فى دور اسحق الموصلى .

محبوب ووسيم خالد ومحمد كريم فى دور فتيات الكورس .

الجوهرى : فى دور بائع اللب .

مراد : فى دور الخواجة ورئيس وفد الفرنجة .

وتبدأ الرواية بأن يشير الخليفة هارون الرشيد إلى القهرمانة لتدير العزف والغناء فيرتفع صوتها (هو) وفتيات الكورس فى توشيح جميل :

بالذى أسكر من خمر اللما

كل مسجون أسيف وحبا

والذى أجرى دموعى عندما

أخرج .. والظلم سوا

ويطرب الخليفة فيعاد اللحن مثنى وثلاث ثم يشير الخليفة إلى القهرمانة لتغنى أحدث ألحان الموصلى قائلا فى نشوة :

« أطربينا يا قهرمانة ، وابعثى فى الجو أجمل الألحان ، ولتغن القيان وليحرق البخور فى أرجاء المكان » .

وتنحنى القهرمانة أدبا وخضوعا ويرتفع صوتها فى حنان ورقة فيعم المكان :

جانا الخليفة جانا

والسعد أهو ويانا

فى مجلسه حيانا

وبخمرته سقانا

وتأخذ القهرمانة والقيان فى ترديد النغم على مختلف الألحان ، والموصلى يهتز للأوزان ، فيأخذ الطرب بمجامع الخليفة لا يتمالك نفسه .

ويردد على القيان :

أنا جيت لكم والله يا أولاد

أنا أحبكم أوى يا ولاد

أنا جيت لكم أنا جيت

دا الاتهام لخبيط ..

وترتفع فى الجو النشوة ويتمايل الخليفة يمنة ويسرة ، ويعم السرور ويعبق البخور .

وهنا يدخل كبير الحجاب مستأذنا فى دخول وفد الفرنجة ليقدم الهدايا للخليفة .. فيأذن .. ويدخل رئيس الوفد والمجلس كله وقار

وسكون ، والخليفة معمم بعمامة الخلافة الشاهية ، ويقدم رئيس الوفد للخليفة هداياه النفيسة من السجاير المعدومة فى مملكته ، ثم يطلب باسم عاهل الرومان معاهدة تحالف واخاء .. فيقف السياف عبد الله معارضا فى هذه المعاهدة ويزوم الحاضرون ويزمجرون ويطلبون من الخليفة عدم التعاون مع الأجانب الذين لا يحفظون العهود ولا يحترمون الحدود .. ويدير الخليفة المناقشة فى هدوء ، ولكن يندفع السياف طالبا السماح له بقطع رقبة رئيس وفد الفرنجة وفى نفس الوقت ترتفع فى المكان أصوات تقول « أقلب .. أقلب .. بلدى » فلا يسع الخليفة إلا أن يشير إلى القهرمانة فتندفع هى والقيان فى لحن بلدى .

ويعود الوقار إلى المجلس ويهدىء الخليفة من روع القوم ويؤكد أنه لن يتعاون مع الأجانب الاندال على أساس احترام حدود الخلافة ويهدأ السياف ، وينصرف رئيس الوفد ثم يطلب الخليفة إلى القهرمانة أحدث مواويل الموصلى التى تبعث فى النفس الصبر والسلوان فتنشد مع القيان :

نامت عيونك وعين الله ما نامت
ما فى ولا شدة على مخلوقها دامت
وإن دامت الشدة ما يدوم صاحبها
راحت ليالى الهنا ياليتها دامت

وهنا يطرب الخليفة ويستزيد ، وتنشد القيان وتعيد ، وتندفع الراقصة شهرزاد فى أحدث الرقصات على نغمات الموال ويصيح الخليفة من فرط النشوة :

هدهدونى .. هدهدونى
أطربونى .. أطربونى

ويردد الجميع كلمات الخليفة .. ويضج المكان بمختلف الألحان وتعيد القيان فى نشوة وحنان ..

وينتهز بياع اللب هذه الفرصة فينادى على بضاعته بصوت نشاز فيأمر الخليفة بإخراجه من المكان ..

ويحل موعد العودة إلى الزنزانات وينتهى الحفل بين رنين الضحكات والسرور .. وغضب السجانين وإغلاق الأبواب .

وفى صباح اليوم التالى استيقظ أنور السادات من نومه فى الزنزانة رقم ٥٤ بسجن أرميدان على صوت باعة الصحف وهم ينادون .. المصرى .. الأهرام .. الجلاء .. الجلاء ..

ولم يصدق أذنيه .. هل هو يحلم .. أنها حقيقة .. إن الجلاء هو الأمل الذى عمل من أجله طوال السنوات الماضية .. ولقد كان ذلك اليوم هو ١٥ مارس .. وفكر السادات بسرعة .. وقرر ضرورة الحصول على نسخة من الصحف .

ويومها كتبت الصحف مانشتاتها بالبنط العريض الأحمر « اليوم هو التاريخ المحدد لجلاء الإنجليز عن القاهرة والاسكندرية والمدن » وظنت الجماهير الطيبة أن رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى هو الذى أجلى الإنجليز عن القاهرة والاسكندرية ، ونسيت أن فى السجون زهرة الشباب وهم يطرقون أبواب المشانق بأيديهم ..

وخرجت المظاهرات تنادى .. يحيا بطل الجلاء .. النقراشى بطل الجلاء .. وشعر السادات يومها بمرارة الخداع وكذب الحكام على الشعب ..

كانت التسلية الوحيدة التى يقض معها السادات الساعات الطويلة فى الليل والنهار فى السجن هى قراءة القرآن والصحف اليومية .. وكان يتابع من خلالها قضية فلسطين .. وكيف أن مصر دخلت

الحرب يوم ١٥ مايو قبل النطق بالحكم قبل قضيته بحوالى شهر ونصف الشهر .. وهكذا ذهب الزملاء إلى ساحة القتال وهو حبيس فى هذا القبو المظلم .. لقد أخرجه المستعمر الغاصب من وظيفته ، وأصبح مطرودا بأمر ملكى سام من الجيش .. وها هو اليوم ينتظر إرادة الله فى هذه القضية التى لا يعلم عنها شيئا .. ثم يحيك الإنجليز المؤامرات لتسليم قطعة من الوطن العربى إلى شرذمة من اللصوص وقطاع الطرق ليدفعوا إلى حرب استخدمت فيها أسلحة فاسدة .

وفى اليوم التالى استقبل السجن فى الصباح ضيفا عزيزا .. إنه عبد الله زيدان .. ولم يكن زيدان متهما أو من البوليس السياسى .. ولكنه يعمل مساعدا « لعشماوى » وهو متخصص فى عمليات الشنق. ودار حديث طريف بينه وبين المتهمين .. وأخذ يداعبهم بمعاينة رقابهم.. ووصف نوع الحبل الذى يناسب كلا منهم .. والمدة التى يستغرقها النبض أثناء عملية الشنق .. وكان حديثه مدار دعابة المتهمين طوال اليوم .

وهكذا كانت الروح المعنوية للمتهمين عالية جدا رغم كثرة التأجيلات المتوالية فى القضية .

وكانت ليلة هادئة .. هجع فيها الجميع إلى النوم . فهو أعظم شىء فى الحياة إذ خلاله ينسى الإنسان الهموم والمصائب ، ولكن الويل له مع أضغاث الأحلام .. وفجأة دبت الحياة فى السجن وارتفع الهتاف الذى وصل إلى الزنزانة رقم ٥٤ .. إنه آت من زنزانات بعض المتهمين .. إن الأصوات تقول : يسقط الظلم .. يسقط البوليس السياسى الغادر .. واستيقظ السادات على هذه الكلمات وهى ترن فى أذنيه ونادى عليه أحد المتهمين قائلا : - أبشر سليم زكى قتل ..

وعمت الفرحة والسرور الجميع .. وقد يتبادر إلى ذهن البعض سؤال: هل يوجد أحد يسر من نبأ فيه قتل ؟ نعم فكم قتل سليم زكى من الأبرياء .. وكم تلذذ من رؤية تعذيب المجاهدين إذ كان يتفانى فى خدمة الإنجليز ..

ولكن كيف قتل هذا الطاغية الذى كان حكمدارا للقاهرة ورئيسا للبوليس السياسى ؟ كان هذا هو السؤال الذى تردد فى أرجاء السجن لمعرفة قصة نهاية هذا السفاح .. وعرفت الحكاية كاملة .. فقد كانت كلية الطب فى ذلك اليوم مسرحا لمظاهرات عنيفة للطلبة .. ويقول تقرير الشرطة أنه يومها حضر اللواء سليم زكى فى عربة مصفحة وجمع قواته وقال لهم :

- اضربوا بالنار .. اضربوا فى المليان إنهم تجرأوا على الطعن فى الذات الملكية المصونة علانية .. موتوهم كلهم أولاد الكلب اللى ما تربوش .. وبعيدا عن مسرح المعركة وقف تحت إحدى العمارات يرقب رجاله وهم يقتلون الطلبة بالرصاص ..

وكان يقطن فى هذه العمارة أحد الطلبة من الريف المصرى ، ولحظة نشوب المعركة بين البوليس والطلبة كان فى زيارته أحد أصدقائه ويدعى عبد القادر وهو من زملاء السادات وكان يرتدى يومها بالطو من الصوف ولم يرتده من أكثر من سنة .. لقد كان فى جيب البالطو اخر قنبلة من قنابل مجدى حسنين ..

وعندما أراد خلع البالطو ليضعه على الشماعة المثبتة بجوار الشباك كانت المظاهرات فى كلية الطب قد اشتد اشتعالها وفى تلك اللحظة وصل اللواء سليم زكى فى العربة المصفحة .. وأخذ عبدالقادر فى مراقبة الموقف من وراء النافذة إلى أن رأى اللواء سليم زكى يقف أسفل العمارة .. وعلى الفور مد يده إلى جيب البالطو

وأخرج منه القنبلة التى أعدها للانفجار وقذفها فسقطت بجوار اللواء وهو يقول :

والله وقعت يا مارشال الكلب وبقالنا سنين دايخين عليك .. وسقط قـائد البـوليس الإرهـابى على الأرض وأسـرع إليـه ضـبـاطه وجنوده وحملوه وهو يقول لهم :

– مافيش حاجة .. مافيش حاجة ..

ونقل إلى المستشفى ، ولكنه مات فى الطريق فقد تمكنت من رقبته إحـدى شظايا القنبلة فـقطعت الشـريان الذى يوصل الدم للرأس .. وهكذا انتهت حياة سفاح فى لحظات ..

* ٨ يوليـو عـام ١٩٤٨ إنه أول أيام شـهـر رمـضـان ويصف أنور السادات هذه الأيام فيقول :

بدأ اليوم رمضان ..

ولرمـضـان فى النفس رهبة ونشـوة .. فـالرهـبة وليدة التكريم الذى خص الله به هذا الشـهـر دون بقية الشـهور ، وهى وليدة المجـهـود الذى يبذله الإنسـان فى مـغالبة نفسـه للتـحكم فى شـهواته .. وأمـا النشـوة فـهى وليدة الانتـصـار حين يفطر الإنسـان فى نهاية يومـه ويشـعر أنه تغلب طيلة اليوم على شهواته ، ومـا تعرض له من مـغريات .. والمزيج من النشوة وتلك الرهـبة كفيلان بأن يشغلا على الإنسان فكره وجنانه وحسه ووجدانه ، بحيث لا يبقى لغيره هذان العاملان فى النفس .

ولكن .. هل علينا رمضان برهبته ونشوته ، والنفس مشغولة كأشد ما يكون الانشغال والقلب يتلهف .. والانفعالات فى عنف وهدير .. ولا عـجب فنحن اليوم على أبواب المصـيـر . لا أسـتطيع أن أصـور مـا سيكون عليه الحال خلال هذا التـأجيل للحكم ، ولكنى جزع من طول هذه المدة .. جزع من فرط ما أخشى من الغيب .

ولكن لم الجزع ؟.. ولم الخوف يا نفس ؟.. ألم يقل سبحانه وتعالى « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » أليست حياتى هذه من صنع الله وتيسيره وهو الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما ..

يا نفس اثبتى ولا تضعفك الدنيا ، واعلمى أن الحكم لله ، والأجر لله .. واحتفظى بالقوة ، والعزة ، فعودى إلى ربك راضية مرضية وادخلى جنته » .

قضى أنور السادات وباقى المتهمين أياما كلها قلق خاصة بعد أن كثرت القيود والتشديدات عليهم بعد أن تمكن حسين توفيق من الهرب ، فلقد كان شرا فى وجوده وشرا فى هروبه .. ففى وجوده كان يثير المناقشات ويكهرب جو الصداقات ، وفى هروبه انزل بزملائه القيود والإرهاق .

وجاء يوم ٢٤ يوليو ١٩٤٨ وهو موعد النطق بالحكم .. وامتلأت قاعة المحكمة بعدد كبير من أقارب المتهمين وأصدقائهم يحمل كل منهم هداياه التى اعتاد احضارها .

وخيم على قاعة المحكمة صمت مطبق حينما نادى الحاجب بقوله : محكمة ..

وكان ذلك فى الساعة الواحدة ظهرا حيث تأخر عقد الجلسة .. وتعلقت العيون برئيس المحكمة ذى الهيبة وهو يتلو الأحكام وبعد أن أنتهى المستشار عبد اللطيف محمد من أحكامه دوت فى قاعة المحكمة هتافات الحاضرين لعدالة المحكمة .

وأصدر القضاء العادل حكمه ببراءة محمد أنور السادات من كل ما نسب إليه .. وخرج أنور السادات من الظلام إلى النور .. وترك الزنزانة رقم ٥٤ بعد صدور حكم القضاء فى قضية أمين عثمان التى

تدرجت فيها الأحكام من عشر سنوات سجنا للمتهم الأول حسين توفيق إلى خمس سنوات لأربعة من المتهمين ، إلى ثلاث سنوات لثلاثة آخرين إلى سنتين لواحد وسنة واحدة لاثنين وشهر واحد لمتهم واحد وتبرئة أحد عشر متهما .

لقد عقدت المحكمة ٨٤ جلسة استغرقت ١٩ شهرا وترافع عن المتهمين ٣٥ محاميا وبلغت صفحات التحقيق حوالى ألفى صفحة وقام بحراسة المتهمين ٢٥٠ ضابطا وجنديا .

وهكذا أسدل الستار على هذه الفترة القاسية التى قضاها السادات بين جدران سجن أرميدان وقاتل خلال سنوات ثلاثة البوليس السياسى والإرهاب .

أراد السادات أن يهرب من أضواء القاهرة الخافتة بحثا عن الراحة والاستجمام فى محاولة لاستعادة صحته التى أفسدها السجن .. وتوجه إلى حلوان وهى إحدى ضواحى القاهرة .. واختارها لهدوئها حيث يمكن العيش فيها بدون أن يسمع صوت صرير فتح الأقفال ودفع مزلاج باب الزنزانة بشدة أو صوت السجان الأجش واتخذ من بنسيون ميامى مقرا له .. فقد كانت صاحبة البنسيون امرأة عجوزا ، ولكنها تتصف بأنها دائمة مبتسمة ، وكانت تناديه مستر السادات ..

وفى هذا الجو الشاعرى الهادىء قضى عشرة أيام تمكن خلالها من أن يجمع شتات نفسه ، وأن يستعيد جزءا من هدوء أعصابه .. وصحته .. ثم ترك حلوان إلى منطقة الهرم التى بدأ يسترد فيها صحته بعد شهرين تناول خلالهما مجموعة من الأدوية بناء على نصائح الأطباء .

وخلال فترة الراحة والعلاج تمكن زملاؤه من تدبير عمل له فتم

تعيينه سكرتيرا عاما لإحدى شركات البواخر بمرتب قدره ٨٠ جنيها في الشهر .. وبدأ السادات عمله الجديد غير أنه لم يتعود على قيود الوظيفة .. وترك عمله ليفتتح مع أحد زملائه مكتبا للمقاولات وعاد مرة أخرى إلى مباشرة العمل الحر .. وانطلق من مدينة إلى أخرى فقد شعر خلال السنوات الثلاث التي قضاها في السجن بقيود قهرية فرضتها عليه الظروف ، وكان رد فعلها العمل المستمر ليلا ونهارا وبدون كلل أو ملل . واتسعت دائرة أعماله واتخذ من مدينة الزقازيق مركزا متوسطا بالنسبة للأعمال المسندة إليه في محافظة الشرقية والتي تمكن من إنهائها قبل مدتها المتفق عليها بسبعة شهور ثم عمل صحفيا بمجلة المصور .

وبدأ السادات يفكر في مستقبله .. إنه خلق ليكون جنديا .. ولم يفكر مطلقا في أن يتخذ من الأعمال الحرة عملا له .. ولقد ترك الجيش مرغما ولم يكن له في ذلك الخيار .. وأصبح الحنين للعودة إلى صفوف الجيش كبيرا واختلى السادات بنفسه وأخذ يسألها .. كيف يمكن لهذا البلد أن ينال حريته .. لقد قضى في المعتقلات والسجون زهرة عمره .. وفجأة تذكر كلمات أول حوار كان بينه وبين عزيز المصري يومها قال له :

– أنا يائس من الحكومات .. يائس من الأحزاب .. يائس من الملك .. يائس من البرلمان .. ولكن أنا مؤمن بالشباب .. وواصل عزيز المصري كلامه :

– لكن عيب هذا البلد أنه ضعيف ، وإنه لا يجد العناصر التي تغذيه بالقوة ..

وسأله السادات :

– وكيف نأتي بهذه القوة ؟

– أنتم شباب الجيش .. ماذا تنتظرون ، ومتى تعرفون مسئوليتكم الحقيقية ، ومتى تبدأون بالاضطلاع بها ؟

– وهل تظن أننا فى داخل الأوضاع القائمة نستطيع اليوم شيئا ؟

أجاب عزيز المصرى وقد انتفض :

– تستطيعون كل شىء .. وغيركم لا يستطيع شيئا .. وماذا تنتظرون ؟ تنتظرون توجيها منى ، من لواءاتكم ؟ من حكام البلاد ؟

وسكت وهو يتمتم :

– كلام فارغ .. ثم نظر عزيز المصرى إلى السادات وتحدث فى عزيمة كلها شباب وقوة وقال :

– لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره فقط .. وكان مثلك هكذا شابا .. ولكنه استطاع أن يكون فى تلك السن المبكرة نابليون القائد .. واستطاع أن يقود بلاده وجيشه ، ولم يكن يتلقى توجيها من أحد .. وتابع عزيز المصرى حديثه :

– التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته هو الإيمان الذى كان ينبعث من نفسه .. فابحثوا عن الإيمان ولا تعتمدوا أبدا على أحد إلا على أنفسكم .. كان لكلمات الإيمان فى نفس السادات رنين عميق .. فقد كان حقا يبحث عن الإيمان ، فهو المخرج الوحيد من الحيرة التى كان يعيش فيها المصريون . وقال للفريق المصرى :

– لقد عشت أنت مؤمنا بهدفك ، وعشت لا تعتمد على أحد .. وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى .. ونحن نريد أن نعمل .. فقاطعه بقوله :

– اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم وإيمانكم .. والذى يستطيع أن ينحى عزيز المصرى عن توجيه الملك ، والذى يستطيع أن

يقصيه عن توجيه الجيش لا يستطيع أن يقصى شباب الجيش عنه

كانت هذه الجمل التى نطق بها القائد هى الإشارة إلى الدسائس التى تعرض لها .. وسأله السادات :

– إذن فقد بدأت الدسائس من زمن ؟

قال :

– نعم ، منذ كنت فى انجلترا أشرف على تربية فاروق .

وتنهد بمرارة وواصل حديثه :

كنت أحب أن تحسن تربيته ، لأنه شاب سواء كنت أنا الذى أربيه أم غيرى ، ولكن يد الخيانة والدسائس امتدت إليه .. وكانت أقرب إلى قلبه من يدى .

– أتقصد أحمد حسنين ..؟

– أحمد حسنين وعمر فتحى .. هذان الاثنان تآمرا على فاروق .. فتآمرا بذلك على شعب مصر فى شخص ملكه .

وسكت المصرى ثم بدأ كلامه :

– هل تتصور أنى كنت أدخل غرفته صباحا فأجده نائما بملابس السهرة .. والخمر تفوح من فمه ؟

هذا الشاب الذى كنت أريد له العلاج والتقوى والوطنية كانا هما يريدان له الفساد والتهتك و والاستهتار .. كانا يقودانه إلى دور الفساد ، فلا يعود إلا فى الرابعة صباحا ، ويعود مخمورا .. فينام وهو يلقى بنفسه على أقرب مقعد أو وسادة .. كنت أحاول أن أنهاه عن ذلك فيخجل .. ولكنهما ينفردان به من بعدى ، فيزيلان له كل أثر لنصائحى ..

وتمهل قليلا ثم قال :

– هل تريد أن تعرف سرا خطيرا ؟

ولم ينتظر جوابا من السادات فقال :

– لقد ألقى هذان الاثنان فى وهم فاروق أنى مدسوس عليه من أبيه .

– أبيه .. ؟

– نعم .. فإن فاروق كان يبغض أباه أشد البغض .. يبغضه من كل قلبه .. وكان يقدس أمه تقديسا شديدا .. فألقى هؤلاء فى وهمه أنى أنا عزيز المصرى أشيع الأقاويل عن أمه ، وأنى أريد أن أزيلها عن الوجود لكى ينفرد أبوه بحبه .. وأنى أعمل الآن على دس السم لها .

– وعرفت أنت كل ذلك ..؟

– نعم عرفته .. عرفته يوم أرسل فاروق إلى أبيه خطابا باكيا يهدده فيه إن لم يسحبنى فورا من مهمتى .. وقد سحبنى أبوه فعلا وتركه لهذين المفسدين ليفسداه على نفسه ، ويفسداه أيضا على وطنه. ثم تلاحقت الدسائس والمؤامرات لتقصينى عن كل مكان أستطيع فيه أن أوجه الشباب لأن فاروق يعرف كيف أوجه الشباب .

كان عزيز المصرى يتحدث بانفعال شديد ، ثم عاد إلى هدوئه وقال للسادات :

– إن كان معك خمسة أفراد مؤمنين ، فإننى على استعداد اليوم أن أحمل مسدسى وأتقدمكم لأى عمل لإنقاذ البلد .

وقبل أن ينصرف السادات قال له القائد العجوز المحنك :

– لن يكون خلاص البلد إلا بانقلاب على أيدى العسكريين .

تذكر السادات هذا الحديث الذى دار بينه وبين عزيز المصرى منذ عام ١٩٤٠ .. إذن لابد أن يفعل شيئا .. وليس هذا الشىء إلا العودة إلى صفوف الجيش العامل ليكون مع زملائه الأحرار الذين حددوا

رسالتهم ويعرفون أن البلد لن يتخلص من الاستعمار إلا بانقلاب عسكرى يقومون به وهم طليعة الجيش .

وفى عام ١٩٥٠ عاد السادات إلى الجيش وفى الوقت نفسه كان قد مضى عام على اتفاقية الهدنة فى فلسطين ، وعاد الضباط إلى مواقعهم بعد أن فقدوا عددا كبيرا منهم نتيجة لصفقات الأسلحة الفاسدة التى تاجر فيها ساسة البلاد ..

●●●



صفحات
من حياة
أنور السادات

« إن فى حياة الشعوب أجيالا يواعدها القدر ويختصها دون غيرها بأن تشهد فقط التحول الحاسم فى التاريخ »
جمال عبد الناصر

الفصل التاسع

العودة لصفوف الأحرار

الفســاد فى مصر يعم جميع أنحـاء البـلاد ، ولقد انضم أنور السادات إلى صفوف الضباط الأحرار فى الجيش منذ اليوم الأول لعودته إليه .. ولقد عاد إلى الجيش هذه المرة وهو أكثر نحافة .. ولكن بدا فى عينيه البنيتين العميقتين لهب الثورة بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل .. وكان الرأى بين الضباط الأحرار انه لابد من أن يكون هناك تنظيم للعمل وعلى الفور تم تشكيل لجنة تنفيذية كان أعضاؤها يتغيرون من وقت لآخر وتراوح عددهم ما بين تسعة إلى أربعة عشر عضوا .. واطلق عليها أول الأمر اسم « اللجنة التسعية » وكانت هذه اللجنة برئاسة جمال عبد الناصر .. لقد اتصف جمال عبد الناصر بعقلية تنظيمية ، وكان يطلب من رفاق الكفاح ضرورة وضع تحركاتهم داخل اطار له برنامج وخطط وكان دائم السؤال :

– ماذا يكون الموقف لو أطحنا بالحكومة فى يوم من الأيام ؟

ثم يتابع سؤاله : إذا لم تكن لدينا الخطط أو الآراء أو معتقدات فإننا سنكون فى مأزق .. وناقشت لجنة التسعة الموقف وتمخضت هذه المناقشات عن إصدارهم لميثاق يتضمن ست نقاط وهى :

١ – العمل ضد الاحتلال .

٢ – العمل ضد الاستعمار .

٣ – العمل ضد الاحتكارات .

٤ – العمل من أجل العدالة الاجتماعية .

٥ - العمل من أجل جيش قوى .
٦ - العمل من أجل حياة ديمقراطية جديدة .

وكما كان أنور السادات ضابط اتصال فى التنظيم الأول فقد أصبح حلقة الاتصال مع التنظيمات الأخرى .. ولقد كان فى مصر فى هذه الفترة منظمة سرية يرأسها اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وكان زوجاً لراقصة مصرية مشهورة وأيضا من الضباط المقربين إلى الملك .. وكان يقدم إليه هو ورفاقه الوثيقو الصلة به الشمبانيا والنساء الجميلات بالاضافة إلى قيامه باغتيال أى شخصية يرغب الملك فى التخلص منها .. كان أنور السادات يعلم الكثير عن هذه المنظمة واخلاقيات قائدها ، ولابد من أن يكون له فى داخلها بعض العيون التى ترصد تحركات أفرادها للوقوف على مدى نشاطهم والاتجاهات التى ينطلقون إليها .. وتم ضم أحد أتباعه من الضباط الأحرار إلى صفوف جماعة مصطفى كمال الذى وقع عليه الاختيار لاغتيال أحد السياسيين بعد انضمامه إلى هذه الجماعة ببضعة شهور .. يومها ذهب إلى أنور السادات وقال له :

- سأنفذ أى أمر تصدره لى ولكن ماذا سأفعل فى هذا الأمر الذى أسند إلىّ ؟

ويومها سأله السادات :

- هل ستنفذ هذه المهمة وحدك ؟
- سيكون معى أربعة أشخاص أخرين .

وفكر السادات دقائق ثم قال :

- اذهب معهم واشترك فى العملية .. على أن تطلقوا النار فى الهواء .
- ولكنهم لن يطلقوا النار فى الهواء .
- أنا أعرف مقدرتهم على اصابة الهدف .

ولم يطلقوا يومها النار فى الهواء بل على الضحية التى لم تصب بأى جرح مميت .

كان يقع على عاتق السادات كما قلت الاتصال بالتنظيمات المختلفة ، كما كان هناك شيء مهم وهو أنه عندما ترك الجيش هذه الفترة الطويلة وجد عند عودته إليه أن زملاءه قد حصلوا على رتب أعلى وكان لابد من أن يلحق بالركب فكان بجانب المهام الملقاة عليه من تنظيم الضباط الأحرار يستذكر مافاته لاجتياز الاختبارات التى مرفيها بنجاح .

وإلى شبه جزيرة سيناء نقل السادات ، حيث صدرت إليه الأوامر بالالتحاق بالفرقة الموجودة بالعريش .. وهناك التقى بزملاء الكفاح .

فى نفس هذه الفترة كانت القاهرة تغلى ، والبوليس السياسى الذى أنشأه اللورد اللنبى بعد ثورة ١٩١٩ وكان اسمه « القسم للخصوص » يعتقل الأحرار ، بل ويغتالهم فى وضح النهار .

لقد كان القسم المخصوص من أخطر أجهزة التجسس وتخريب الذمم ، بل كان يلعب على حبلين الأول فى قصر الملك ، والثانى فى قصر « الدوبارة » وهو مقر المندوب السامى الذى كان يلقب « بصاحب المقام الجليل » حتى يصبح قريب الشبه بلقب « صاحب الجلالة الملك » .

إن التجسس على كل أجهزة الدولة قائم ويتم لحساب الإنجليز والملك من قبل البوليس السياسى الذى أصبح سوط عذاب على المجاهدين ضد الطغيان والاحتلال . النتيجة أن أرقام الضحايا فى ازدياد .. ووصل إلى الألوف ، فمنهم من اغتيل ، ومنهم من حكم عليه بالاعدام ، ومنهم من فضل الهرب من الحياة بالانتحار ، ومنهم من دخل مستشفى الأمراض العقلية . أما رجال البوليس السياسى ، فقد كان نصيبهم نياشين بريطانيا التى قلدهم اياها السفير البريطانى فى مصر تقديرا لخدماتهم الجليلة نحو بريطانيا العظمى .

كانت كل هذه الصور فى مخيلة الأحرار الذين يحسون بها وهم على بعد مئات الأميال من القاهرة .

وفى عـام ١٩٥١ كـان أنور السـادات فى العـريش وفى يوم ٢٥ ديسمبر وهو يوم عيد ميلاده أراد زملاؤه الاحتفال به .. وفى أثناء الحفل دق التليفون ، وكان المتحدث من القاهرة .. إنه جمال عبدالناصر الذى قال للسادات .

– عيد ميلاد سعيد .

– شكرا يا جمال .

– كل سنه وانت طيب ، وعلى فكره التيتل سيصلك الليلة ، فكن على استعداد لاستقباله .

ولم يكن (التيتل) المعروف لنا بالحيوان ذى القرن ، ولكن كان يعنى شيئا آخر .. لقد كان لغما ضخما اتخذت الترتيبات لإرساله إلى أنور السادات ليعمل على نقله إلى قناة السويس لاستخدامه فى نسف أول باخرة بريطانية كبيرة تعبر القناة .. وطارت طائرتان إلى العريش وكان أنور السادات فى استقبال الهدية التى سعد باستلامها، وشاءت الاقدار ألا تستخدم لاكتشاف جزء مهم غير موجود يومها .. ودفن اللغم فى أعماق رمال الصحراء لعدة سنوات ولم يرفع إلا أخيرا ..

وفى القاهرة صدر أخطر مقال كتبه فى هذه الفترة أحمد حسين تحت عنوان « الثورة ، الثورة ، الثورة ، رعاياك يا مولاى ، وزراء أم لصوص ، حكومة أم عصابة » .

وبدأ أحمد حسين مقاله الملتهب بقوله : « ثورة طاغية عارمة جارفة هى التى تعمل لها الحكومة بالليل والنهار .. ستقع حتما بحيث يمكن أن نحدد لها موعدا على وجه التقريب وهو نوفمبر أو ديسبمر من هذا العام » .

ثم قال : « الحكام مشغولون فى حفلاتهم ، وفى اجتماعاتهم الخطيرة وفى التعديل الوزارى المنتظر .. لإخراج عبد الفتاح الطويل وزير العدل والبحث هل سيظل مصطفى نصرت وزيرا للحربية أم

يطرد منها بغير شهادة حسن سير وسلوك ؟

« ليقل لى سراج الدين ، ومصطفى النحاس ... ليقل لى فرغلى وعبود وكريم ثابت وبوللى والياس اندراوس وكل راض ومغتبط من الأحوال الحاضرة .. ماذا أقول لجموع الساخطين من العمال والفلاحين الذين تتوافد وفودهم شاكين من الجوع وأنا أسمع بينهم كلمة الثورة الثورة تطلق على أنها هى الدواء لكل هذه الأدران.. ليقل لى الأمير محمد على وسراج الدين وفرغلى وعبود واندراوس وكريم ثابت وحافظ عفيفى وأمثالهم ، ماذا أقول لهؤلاء جميعا ؟

إننى لن أستطيع أن أقول لهم موتوا جوعا وذلا ، لن أستطيع أن أوافق على هذه الاجراءات التى تتبع معهم ، لن أستطيع أن أمنعهم عن المناداة بالثورة ولا إقناعهم بالاقلاع عن الدعوة إليها .. « ويقول:» ويشكو الناس لهو الحكام وفساد الحكم ، إنهم يئنون مما يترامى إلى سمعهم من المساس بكرامتهم نتيجة تصرف بعض الحكام والموظفين الكبار إذ يسافرون إلى الخارج .. يقصد الملك وحاشيته ويطالع الناس فى الصحف والمجلات أنباء هؤلاء الكبار استهتارا ويقف الشعب متسائلا :

– ما العمل .. والكلام لا يجدى والخطب لاتجدى والنقد لا يجدى إجماع الآن على استنكار تصرف من التصرفات لايجدى فما هو الحل إذن ؟ .. وينهال الناس علينا بالاسئلة .. انك تنادى بأن الأمة مصدر السلطات ، وها هى الأمة قد أصهرت مشيئتها بأن تصرف الكبراء فى الخارج وما ينفقون ويتظاهرون به من الفحشاء وهو محل غضب الله والشعب ، ومع ذلك فالقوم يأبون إلا المضى والتحدى .. فكيف نحقق سلطة الأمة ؟ وأقف حائرا فتنطلق الهمسة : الثورة ، الثورة ، الثورة .. لا علاج إلا الثورة ..

ويختتم مقاله : أيها الحكام . أيها السادة . أيها النواب والشيوخ يا كبار الموظفين .. للمرة الأخيرة أقول لكم إنكم تحرضون الناس

على الثورة تحريضا .. فإذا أبيتم إلا أن تظلوا فى هذه الغواية سادرين فهى الثورة آتية لا ريب فيها وموعدنا نوفمبر أو ديسمبر بعد أن تفتح الجامعات ويعود الطلاب ..

فى هذه الفترة كان مصطفى النحاس رئيسا للوزراء .. والخلاف بينه وبين القصر قائم وعلى اشده .. وفى مساء يوم الاثنين ٨ أكتوبر عام ١٩٥١ وقف فى قاعة مجلس النواب الذى يمثل اغلبيته حزب الوفد ، وأعلن بصوت جهورى :

من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦ ، ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها ..

يومها كنت أجلس لاستمع إلى خطاب رئيس وزراء مصر الذى جاء هذه المرة لاعلى أسنة الرماح كما حدث فى فبراير ١٩٤٢ ، ولكن أصبح رئيسا للوزراء بعد أن حصل حزبه على الأغلبية ..

واستمر التصفيق من النواب لمدة عشر دقائق وسألت نفسى ليلتها : ترى هل حقيقة فى هذه المرة تكون النوايا صادقة ؟ وهل حقيقة من أجل مصر وقع معاهدة ١٩٣٦ ؟ وهل حقيقة من أجل مصر يلغى اليوم هذه المعاهدة ؟

واختليت بنفسى . فقد كنت فى يوم من الأيام ضمن الطلبة الذين أمر رئيس وزراء مصر بفتح كوبرى عباس عليهم لأنهم ضد المستعمر!! واليوم يطالب رئيس وزراء مصر الشعب بأن يستعد للمعركة ضد المستعمر !!

النحاس يوضح فى قوله أنه كان مضطرا لتوقيع المعاهدة التى يلغيها فى هذه اللحظة .

واستقبلت مصر هذه اللفتة النحاسية بالحماس والتأييد ، وبدأت تعقد المؤتمرات الشعبية ، وطالب النواب الشعب بالاستعداد لخوض المعركة فى منطقة القناة .. ومن الجامعة انطلقت جموع الشباب إلى

الاسماعيلية والسويس يحملون فى قلوبهم الإيمان وفى أيديهم السلاح .

ولكن ماهو رأى الجانب الآخر ، وأقصد به الحكومة البريطانية ، لقد أدهشها قرار رئيس وزراء مصر الذى أثار استغراب الدوائر المختلفة فى لندن سيما إذا كان مثل هذا القرار صادرا من صديق لهم .. ويومها كتب ما يلز لامبسون (لورد كيلرن) المندوب السامى السابق فى مصر وبطل حادثة ٤ فبراير عام ١٩٤٢ مقالا فى جريدة «الديلى اكسبريس » أبدى فيه استغرابه لموقف النحاس تجاه بريطانيا ، ونصح يومها حكومته بألاتتسرع فى معاداته وأن تضع فى حسبانها أنه كان الرجل الوحيد الذى وقف بجوارها فى أزمتها خلال الحرب العالمية الثانية .. وأشاد يومها بدور القيادة البريطانية فى القناة ، وطلب من حكومته دعم القوات العاملة التى كانت تحت قيادة الجنرال أرسكن وذلك لمواجهة هجمات الفدائيين والشباب الطائش على حد تعبيره . ولكن أمام صلابة أبناء مصر ، عرفت بريطانيا أن هذه المواجهة ليست مثل ما سبق أن واجهت به الشعب المصرى إنها أمام حركة مسلحة ومدربة ..

وتولى الضباط الأحرار تدريب شباب الجامعات والعمال .. بل إن بعضهم تطوع فى حركة المقاومة .

ومرة أخرى يعود عزيز المصرى إلى الميدان قائدا لكتائب الفدائيين .. وبدأ الأب الروحى حركة الكفاح ولكن ليست هذه المرة من خلال الجيش النظامى ، ولكن من وسط صفوف الفدائيين لمواجهة العدو .

وفى منزل مجدى حسنين اجتمع عزيز المصرى بعبد اللطيف البغدادى وجمال عبد الناصر وبعض الضباط الأحرار لتنظيم حركة الكتائب الشعبية ومدها بالضباط لوضع الخطط وقيادة المتطوعين وذلك بعد أن أوقفت الحكومة معاونتها ، وكانت هذه هى أولى الصدمات التى يتلقاها المتطوعون من الحكومة التى أعلنت الكفاح

المسلح بل زادت من اضطهاد الحركة حينما اصدرت بيانها عن طريق وزارة الداخلية بتحريم جمع التبرعات للكتائب .. وهاجت الجماهير .. وثارت الجنود مما دفع الحكومة إلى حبك مسرحيتها ، فخطب وزير الدفاع فى الجماهير الغاضبة بقوله :

إن صدورنا قبل صدوركم ، وأرواحنا قبل أرواحكم .. واستمر فى التهريج حتى نهاية الفصل قبل الأخير .. وقرر الضباط الأحرار .. إما أن يحصلوا على أجازة حرة بالمرتب لأجل غير مسمى للاشتراك فى معركة القنال ، وإما أن يحالوا إلى الاستيداع بنصف مرتب خلال فترة القتال .. وإما أن تقبل استقالاتهم من الجيش نهائيا ليتمكنوا من الاشتراك فى القتال .

ولكن لم يوافق الفريق محمد حيدر باشا على اشتراك أى ضابط فى القتال .. واتفق الضباط مع عزيز المصرى على اشتراك الضباط فى التدريب أيام الخميس والجمعة والأجازة . ويقول أنور السادات :

« لقد اجتمعت الهيئة التأسيسية فى الأسبوع الأول من شهر يناير سنة ١٩٥٢ فى منزل حسن إبراهيم لتبحث الموقف الذى كان يتدهور ويسوء يوما بعد يوم فبالرغم من أن تشكيل الضباط الأحرار يمد حركة المقاومة - التى قامت فى منطقة القناة ضد جنود بريطانيا - إلا أن الصورة كانت قاتمة لأن الوزراة الحزبية التى كانت فى الحكم وقتذلك لم تكن تعنى الكفاح والمقاومة بقدر ماتعنى المكسب الحزبى ، هذا فضلا عن أنها لم تكن لتستطيع المضى حتى فى هذه المقامة الكسيحة ، لأنها ككل وزراة حزبية أخرى ، عبارة عن باشاوات كل همومهم هو أن يؤثروا السلامة مع الجاه والمنصب وجمع المال يضاف إلى ذلك أيضا أن ملك البلاد التى يقاوم شعبها جنود بريطانيا ، جنرال فى الجيش البريطانى »

ويواصل السادات قوله :

« كان أخوف ما نخافه هو أن ييأس الشعب بعد أن توقفت المقاومة

فعلا فى منطقة القناة فى مستهل ١٩٥٢ بعد أن سيطرت عليها الحكومة وبعد أن قتل شباب برىء فى معاركها التى لم يكن لها خطة ولا تنظيم يضمن لها الاستمرار والنجاح ، ويضاف إلى كل ذلك حالة الفوضى التى أصبحت تنذر بأخطر العواقب ..

الشعب يحقد على الملك .. ويحقد على الأحزاب وأصبح الحكم والحكومة هما أعدى أعداء الشعب ولن يستفيد من كل ذلك إلا العدو الأجنبى الذى يتربص ببلادنا ، وهى بريطانيا التى عرف العالم وعرفناها نحن سيدة المؤامرات والدس واقتناص الفرص للسيطرة على الشعوب من داخلها .

وفى هذا الاجتماع ، وبعد دراسة شاملة ، اصدرنا أول قرار بموعد قيام الثورة .. وكان شهر نوفمبر ١٩٥٢ على أن يبدأ فى الحال بتعبئة كل قوى الضباط الأحرار داخل القوات المسلحة لمواجهة أية أحداث قد تطرأ »

● إن أسباب تحديد شهر نوفمبر لقيام الثورة تعود إلى :

أولا : الاستفادة من تنقلات القوات التى تتم فى شهر يوليو من كل سنة ، لكى تحشد فى القاهرة وحدات كاملة من وحدات الجيش الموالية للحركة والتى كانت مبعثرة بين صحراء سيناء والاسكندرية ، وكان ضباط أركان الحرب الذين ينظمون هذه التحركات من الضباط الأحرار ..

ثانيا : أن يكون الملك والوزراء قد عادوا من مصيفهم إلى القاهرة لكى تكون الضربة واحدة وكاملة وسريعة من غير حاجة إلى معارك دامية .

ومرت أيام شهر يناير ١٩٥٢ والحالة تسوء يوما بعد يوم حتى كان يوم ٢٥ يناير الذى ضربت فيه قوات إنجلترا دار محافظة الاسماعيلية وهدمتها فوق ضباط وجنود الشرطة البواسل الذين رفضوا أن يسلموا أسلحتهم وأنفسهم كما طلب منهم قائد الامبراطورية العظيمة

وكان رد الفعل مفاجئا ومذهلا فى اليوم التالى وخاصة بعد أن فقد الشعب ثقته فى الحكم .. وكان يوم السبت الأسود .. حريق القاهرة.. لقد أثبت المحتل أن هدفه تحطيم الشعب ، ولكن كانت حوادث اليوم السابق التى ضربت فيها رجال الشرطة بالاسماعيلية هى إشارة البدء لخوض معركة ضد الاستعمار والملك والأحزاب .

وصباح السبت ٢٦ فبراير (كانون الثانى) ١٩٥٢ صدر العدد الأسبوعى من جريدة «أخبار اليوم» وجاء فى صفحاتها الأولى بالنص الواحد :

« إن الاجراءات التى تدرسها الحكومة للرد على العدوان البريطانى فى الاسماعيلية ، رفع الحصانة عن السفير البريطانى وإغلاق القنصليات البريطانية فى أراضى مصر وقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع بريطانيا »

فى مكان آخر بالجريدة نرى نص برقية ايوار مراسل صحيفة أخبار اليوم فى لندن التى يقول فيها : « تتوقع لندن اشتراك الجيش المصرى فى معركة القناة » ..

وفى صباح ذلك اليوم عقد المؤتمر التأسيسى للاتحاد العام لنقابات العمال فى مصر منذ الصباح الباكر . وبدأ الإضراب العام يشل المصانع ، واتجه طلاب الأزهر وجامعتى فؤاد وإبراهيم حيث التقوا بالعمال القادمين من شبرا الخيمة . وفى وسط القاهرة وفى شرفة رئاسة مجلس الوزراء احتشدت جموع مختلفة من أبناء الشعب ووقف يومها عبد الفتاح حسن وزير الدولة وخطب فى الجماهير الثائرة الغاضبة وقال يومها إن حكومة الوفد ستقطع علاقتها بإنجلترا ، ستقيم علاقات صداقة مع الاتحاد السوفيتى وذكر للجماهير يومها أن مجلس الوزراء يعقد الآن جلسة استثنائية لبحث تطورات الموقف وهتفت الجماهير بسقوط بريطانيا وقررت البقاء فى ساحة مجلس الوزراء لتعرف نتيجة الاجتماع الذى أعلن قطع

العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا فى مصر ..

وخرجت الجماهير ثائرة ، والحقد والكراهية يملآن قلوبهم وطفحت إلى السطح كراهية سبعين عاما .. وفى هذه اللحظات كان الملك فاروق مشغولا بترتيب أمر الوليمة التى سيحضرها أكثر من ستمائة من ضباط الجيش حيث يعلن فيها رسميا نبأ مولد ولى عهده الأمير أحمد فؤاد ولتوضيح مهزلة صورة حكام البلاد فقد خرج رئيس مجلس الوزراء بعد الاجتماع الطارىء وذهب إلى منزله فورا لأنه على موعد مع منمق للأصابع قبل أن يحضر وليمة الملك .

الجموع الثائرة تطلب السلاح وهى هائمة على وجوهها فى شوارع القاهرة ثم تدفقت فى الميدان الكبير المواجه لقصر عابدين ولم يبد أى شخص فى القصر أدنى أهتمام بهذه الجموع الهادرة - لذلك استمرت فى سيرها .

فى هذه اللحظة كان أحد ضباط البوليس السياسى خارجا من كباريه بديعة (وكانت من أشهر الراقصات فى مصر) وفى يده (كأس ويسكى) واليد اليسرى تضم إحدى الراقصات وتسبب هذا المنظر فى غضب الأهالى الذين كانوا فى هذه المنطقة وشعروا بمرارة فإخوانه الأحرار يموتون فى الاسماعيلية ، وهو يعبث هنا فى القاهرة ، ودفع رجل البوليس محدثه وهو غاضب وتلفظت الراقصة بألفاظ حادة مما جعل الذين شاهدوا هذا الحوار يصبون غضبهم ، فاندفعوا نحو الكباريه ووضعوا البنزين فى أركانه وأشعلوا فيه النار.. وكانت هذه هى الشرارة الأولى التى انطلقت على أثرها ألسنة اللهب ، ثم كانت الضحية الثانية سينما ريفولى وبعدها عمت الفوضى جميع الطرقات إذ اشتعلت النيران فى سينما مترو ثم نادى الترف البريطانى وأماكن أخرى فى الحى الأجنبى ، ولقد كان فى القاهرة فى هذه الفترة أكثر من مائة ألف أجنبى .. وفى الساعة الواحدة ظهرا اتصل حكمدار القاهرة بوزير الداخلية يبلغه بأن الزمام قد فلت

من يده ، واتصل وزير الداخلية بقائد الجيش يطلب منه نزول الجيش المصرى إلى شوارع القاهرة ، ولكنه أبلغه أنه ليس من الحكمة الالتجاء إلى استخدام القوات المسلحة .. وفى الساعة الواحدة والنصف عاود وزير الداخلية الاتصال بقائد الجيش فأبلغ أنه مع الملك ولا يريد أن يزعجه أحد ، فى الوقت نفسه استمرت فرقة إشعال النيران فى عملها وبجانب جماعة القمصان الخضر كان هناك بعض شباب الأحزاب وبعض أعضاء جمعية الأخوان المسلمين يقفون أمام بعض المتاجر يضرمون فيها النيران ويحرقون ويزرعون الديناميت ، وانتشرت موجة الذعر فى أنحاء البلاد ..

وفى هذه اللحظات وصل إلى القصر العامر ضيوف الملك من الضباط لحضور مأدبة الغداء ، وفى هذا الوقت كانت القاهرة تشتعل وألسنة الدخان تبدو كجحيم هائل ، وفى الساعة الثانية والنصف ذهب وزير الداخلية إلى القصر الملكى ليستفسر من قائد الجيش عن سبب عدم استدعاء جنود الجيش فأبلغ بأنهم سيصلون فى الحال . وكان المتظاهرون يحرقون فى طريقهم جميع المتاجر الأجنبية واليهودية وفى ميدان الأوبرا توجه المتظاهرون إلى ذلك المبنى الذى شهد لأول مرة يوم افتتاحه أوبرا عايدة التى مثلت خصيصا بمناسبة الترحيب بزائرة أجنبية هى الأمبراطورة أوجينى التى حضرت لمشاهدة حفل افتتاح القناة سببا فى جميع متاعب المصريين بعد ذلك وتحول هذا المبنى إلى قطعة من اللهب .

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر بدأت مرحلة النهب والسرقة وعمت الفوضى جميع الطرقات ، وفى الساعة الخامسة مساء بدأت طلائع القوات المصرية تظهر فى أماكن الاضطرابات ، وفى الساعة السابعة مساء عقد مجلس الوزراء اجتماعا صدرت بعده الأحكام العرفية وحظر التجول وكان هذا فى يوم السبت الأسود فى القاهرة ..

ويصف أنور السادات ذلك اليوم فيقول :

« مضى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ بحوادثه الحزينة ، وكانت هذه الحوادث من العنف حيث فكر الملك وقت ذلك فى الخروج من مصر .. وأعد قائمة بمن يريد أن يصطحبوه فى هروبه .. وفاتح بعضهم فعلا .. وأعد حقائبه ووصلتنا هذه المعلومات .. للمرة الثانية بدأنا نفكر فى تقديم موعد الثورة لكى يكون شهر مارس ١٩٥٢ بدلا من شهر نوفمبر ١٩٥٢ » .

ويواصل أنور السادات كلامه فيقول :

« إلا أن الأمور لم تلبث أن بدأت تعود إلى شبه استقرار مما دعا الملك إلى أن يعدل عن فكرته ليبدأ الفصل الأخير من حياته كملك لكى يكتب إلى الأبد مصيره ومصير أسرته التى لم تستند فى حكمها لمصر يوما إلا على قوة أجنبية سواء كانت تركية أو فرنسية أو بريطانية والتى عبثت بمقدسات هذا الشعب الواعى الأمين » .

وفى خلال خمسة شهور سقطت وقامت خمس وزارات كل منها كان هدفه سب الوزارة التى سبقته ، وكان الملك لاهيا فى سهراته وملذاته ، والشعب يعانى من هذا العبث الذى يعرض لأرزاقه ، وبريطانيا تقف فى هذا المشهد موقف المنتصر الذى خرج من المعركة بكل الأسلاب . وبعد ساعات من حريق القاهرة وصدور الأحكام العرفية كان حافظ عفيفى مكلفا من قبل الملك بالذهاب إلى على ماهر ليعرض عليه تأليف الوزارة الجديدة التى شكلت فى منتصف ليلة ٢٧ يناير ١٩٥٢ وكان لابد أن يتجنب مجلس النواب والشيوخ وعلى الفور قرر على ماهر عقد معاهدة تعاون بين حزب الوفد الذى كان له الأكثرية فى مجلس النواب والشيوخ ووافق الوفد على ذلك خشية إقدام الحكومة الجديدة على حل البرلمان وأغضب ذلك القصر فأعد مرسوما بحل البرلمان وأرسل إلى الصحف بدون علم على ماهر الذى قرأه من الصحف وحاول مقابلة الملك ، إلا أنه فشل وعلى الفور قدم استقالته ..

وفى ٢٨ فبراير ١٩٥٢ قبل نجيب الهلالى باشا تأليف الوزارة التى حاول أن يعين فيها اللواء محمد نجيب وزيرا للحربية بعد انتخابه رئيسا لمجلس إدارة نادى الضباط إلا أن الملك اعترض .. وأعلن الهلالى أن مهمة وزارته هى التطهير وعارض فاروق الذى طلب منه تعيين الدكتور أحمد النقيب وزيرا للصحة .

- وحاول الهلالى أن ينفذ خطة التطهير غير أنه اصطدم بالسياسيين وحاشية فاروق ورفعت تقارير إلى الملك قيل فيها إن التطهير الهدف منه العمل على نشر الشيوعية فى البلاد وعندما سأل الملك رئيس وزرائه ما هو المقصود بالتطهير ؟ وهل سيصل إلى رجال الحاشية رد نجيب الهلالى بدبلوماسية قائلا : لا أتصور أن بجانب الملك ملوثين .. وفشل الهلالى فى تحقيق أى شىء فقدم استقالته فى يوم ٢٨ يونيو وفى اليوم الثانى كلف حسين سرى بتأليف الوزارة وفى خلال وزارة حسين سرى أصدر الملك قراره بحل نادى الضباط وهدد اللواء محمد نجيب بالاستقالة بعد صدور قرار بنقله إلى منقباد وطلب حسين سرى تعيين محمد نجيب وزيرا للحربية فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ غير أن الملك رفض هذا الأمر وفى اليوم التالى قدم حسين سرى استقالته .

وبدأت الأحداث تخلق موقفا جديدا .. وكان قرار بدء الثورة الذى قرره أعضاء الهيئة التأسيسية الذين كانوا فى القاهرة .. ويقول أنور السادات : لقد حمل هذا القرار إلينا فى سيناء حسن إبراهيم والذى قدم بالطائرة لإبلاغه للأعضاء الذين كانوا هناك ..

وكان نص القرار « تحددت الفترة من ٢٢ يوليو إلى ٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ لبدء المشروع » .

وقرر الضباط الأحرار العمل فورا ووضعت الخطة وقرروا أن نجاح الثورة يعتمد على التخطيط الذى يحتم فصل المنطقة العسكرية فى وسط القاهرة ووقف أى اتصال بالخارج حتى تصبح بأكملها

تحت سيطرتهم .. ولتحقيق ذلك يجب أن يكون هناك شخص يستطيع أن يقطع جميع خطوط المواصلات .. ويومها رشح أنور السادات .. ولكن كيف يمكن الحصول عليه وهو في سيناء . وطارت إحدى الطائرات لإحضار السادات ليتولى مهمته الضخمة وسط زملائه . وكان الرجل المتمرد على الظلم والطغيان يحلم منذ سنين طويلة بليلة كهذه .

كان من المقرر أن يكون يوم الثورة هو يوم الاثنين ٢١ يوليو ١٩٥٢ وعلى هذا الأساس اجتمع في القاهرة جميع أعضاء الهيئة التأسيسية والضباط الأحرار ، ولكن نظرا لأن الخطة لم تكن قد اكتملت فقد تأجلت على أن يكون موعدها في وقت لاحق .

تأزم الموقف في البلاد إذ مر يومان بدون أن تكون هناك وزارة واهتدى تفكير فاروق من جديد إلى تكليف نجيب الهلالي بتأليف الوزارة التي عين فيها اسماعيل شيرين وزيرا للحربية وفي ٢٢ يوليو تم حلف اليمين في الخامسة بعد الظهر .

وقرر الضباط الأحرار أن تكون هذه الليلة هي الفاصلة ووضعت الخطة وكلف أنور السادات بمسئولية قطع جميع الاتصالات بحيث إذا استطاع أحد اللواءات الافلات من الاعتقال فإنه لن يجد أي وسيلة للاتصال إذا حاول استدعاء قوات من الخارج لدخول القاهرة.. وفي مساء ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لعب الرجل الأسمر الذي حفرت الأيام في وجهه ظلم ستمائة سنة من حكم الإرهاب دوره بجانب زملائه الأحرار .. وبدأت الثورة بقيادة عبد الناصر ..

وسمع شعب مصر .. واستمع الشعب العربي في كل مكان وعرف العالم لأول مرة بقيام ثورة مصر حينما انطلق صوت أنور السادات من الإذاعة المصرية التي ذهب إليها بإحدى عربات الجيب ، وانتظر حتى انتهت الفقرة الأولى من البرنامج اليومي العادي وهي القرآن الكريم والتي تلى فيها الآية الكريمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة

ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . ومن خلال الأثير انطلق إلى العالم صوت هذا الشاب الثائر الرصين يحدث العالم باسم قائدة الثورة ويعلن لشعب مصر قيام ثورته .. انطلق صوت السادات يقول :

يا شعب مصر .. إن بلادنا قد عاشت فى أحلك فترات تاريخها .. وتابع قراءة بيان الثورة ، وعلم العالم من خلال هذه الكلمات التى تحدث بها أن فى مصر ثورة ..

وبعد سماع البيان قرر نجيب الهلالى تقديم استقالة الوزارة التى لم تعش أربعا وعشرين ساعة وتوجه رئيس الوزراء إلى قصر المنتزه حيث قدم استقالته للملك .

وكان أول مطلب للثورة هو تعيين على ماهر رئيسا للوزراء .

وكلف أنور السادات بمقابلة على ماهر للاتفاق معه على تشكيل الوزارة بدلا من نجيب الهلالى ، ولم يكن أحد يعرف عنوان على ماهر وفى هذه الفترة كان الصحفيون يتوافدون إلى مقر مبنى القيادة .. وظهر إحسان عبد القدوس الذى تطوع بتوصيل السادات إلى منزل على ماهر ..

وفى الدور الثانى من منزل ذلك الرجل الذى لا ينتمى إلى أى حزب من الأحزاب والذى تولى الوزارة بعد حريق القاهرة كان لقاء السادات معه .. وقال له :

- إننى مكلف من القيادة لكى تؤلف الوزارة .

وخيم الصمت فترة .. ولم يتحدث على ماهر وفى هذه اللحظات مرت بعض الطائرات على ارتفاع منخفض .. وقال على ماهر :

- الطيارات دى بتاعتكم ؟

أجاب أنور السادات ليطمئنه :

- نعم .. والقوات المسلحة كلها لا تخضع إلا لقيادتنا اليوم .

وتحدث السادات مع على ماهر يومها عن الفساد المنتشر فى

البلاد والتصرفات الشاذة وعن وجهة نظر القيادة فى تكليف على ماهر بتشكيل الوزارة . وقال على ماهر :

- أنا مستعد أتعاون بشرط أن يكلفنى الملك بتأليف الوزارة .

- تقدر تعتبر نفسك من دلوقت مكلفا بتأليف الوزارة فجهز نفسك من الآن .

وقبل أن يهم السادات بالانصراف قال :

- فيه طلبات للجيش عايز من الملك ينفذها فورا ..

وقال على ماهر :

- الزيارة دى ستبلغ للملك .

- إحنا بنشتغل دلوقتى عالمكشوف .. وعلى فكرة نجيب الهلالى اتصل بنا النهاردة .. وعرف أننا رفضنا بقاءه فى الوزارة .. ولابد أنه بلغ رأينا إلى الملك .

وترك السادات على ماهر وعاد ، وفى المساء أبلغ على ماهر السادات أن الملك اتصل به وأمره بتشكيل الوزارة .

وحمل على ماهر فى اليوم التالى أسماء الوزراء وطلبات الجيش بطرد الحاشية قبل أن يغادر القاهرة إلى الاسكندرية ..

وفى صباح يوم الجمعة ٢٥ يوليو غادر السادات القاهرة إلى الاسكندرية ليشرف على قرار عزل الملك وخروجه من البلاد ، وتولى إعداد الانذار لرئيس الوزراء على ماهر . وتوجه السادات فور وصوله إلى الاسكندرية إلى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى وقابل على ماهر الذى سأله فور دخوله عليه والحيرة على وجهه بادية نتيجة لوصول بعض القوات المسلحة إلى الاسكندرية ..

- الملك وافق على الطلبات كلها ، واستقالات أفراد الحاشية فى جيبى أهه .. وقدم على ماهر إلى السادات الاستقالات ليراها ، ويومها لفت نظر السادات توقيع الياس اندراوس على الاستقالة فقد كتب اسمه أليس اندراوس وبخط ردىء ، ولقد كان الياس اندراوس

أحد الذين يحكمون البلاد ، بل كان له من النفوذ أكثر من اسقاط الوزارات وتأليفها .

وكان لابد من أن يعلم على ماهر لماذا جاء السادات إليه فى الاسكندرية .. وبعد تكرار سؤال على ماهر عن أسباب وصول القوات إلى الاسكندرية كان جواب السادات :

- بصراحة يا باشا القيادة قررت عزل الملك اليوم .

قبل أن يفيق على ماهر من ذهوله أردف السادات يقول له :

- سيجىء إليك فى الساعة السابعة إنذار موجه إلى الملك من القيادة ، بتنازله عن العرش ومغادرة البلاد ، وعليه أن يتحمل النتائج فى حالة رفضه لهذا الإنذار .

واستمر السادات فى كلامه إلى رئيس الوزراء :

- أنصحك - وأنت الذى ستتوجه بهذا الإنذار - أن تؤكد للملك أن لا فائدة من المقاومة ، لأن الجيش والشعب سيسحقان أية مقاومة مهما كانت ، والأوامر التى صدرت قاطعة فى هذا الشأن .

وكان على ماهر لا يزال يعيش فى ذهول المفاجأة ، واقترب منه السادات ليواصل حديثه :

- أنت لا خيار لك فى هذا ، بل إننى اعتقد أنك مسئول عما أصاب البلاد إلى حد ما لأنك أنت الذى نصبته ملكا على البلاد فى دقائق عام ١٩٣٦ .

وتحمس على ماهر وبدأ فى الكلام :

- أنا نصبته فعلا ملكا على البلاد ، لكنى لم أكن أتصور أبدا أن يصل على يد مربيه أحمد حسنين إلى ما وصل إليه اليوم أنه هو الذى كتب بيده أفعاله ومصيره .

واستمر على ماهر يقول للسادات :

- لعلك أنت تعلم ، ويعلم الناس أن فاروق أبعدنى منذ إحدى عشرة سنة بتأثير من مربيه أحد حسنين والحاشية .

ونظر إلى السادات ليرى تأثير هذا الكلام ، وكان رد السادات عليه تأكيد أنه لا خيار له فى تنفيذ هذه الأوامر .

* * *

المكان : الاسكندرية .

الزمان : صباح يوم ٢٦ يوليو من عام ١٩٥٢ .

قوات الجيش المصرى تحتل مراكزها فى جميع أنحاء المدينة .. الشعب من حولها يصفق ويهتف بوحدة الجيش والشعب .

وإلى رئاسة مجلس الوزراء كان السادات فى طريقه إلى على ماهر ليسلمه الإنذار ، وفى إحدى ردهات الرئاسة كان هناك مستشار السفارة الأمريكية يقف فى حالة يرثى لها ، والرعشة تسيطر على جميع أجزاء جسمه وتحدث إلى السادات قائلا :

– أنا قادم الآن من قصر رأس التين ، إن هناك معركة ، ما سبب هذا ؟ إن الملك فيما نعلم قد أجاب كل طلبات الجيش ، وأريد تفسيرا لهذا الذى يحدث الآن عند رأس التين ويهمنى أن أطلب باسم (واشنطن) ما يفيد تأكيد سلامة فاروق شخصيا .

– إننا قادمون الآن للتفاهم مع رئيس الوزراء فى هذا الموضوع .

واستلم على ماهر الإنذار وبعد قراءته قال :

– هذا هو ما يستحقه فكثيرا ما نصحته ولم يستمع أبدا إلى نصحى ..

وحمل رئيس الوزراء الإنذار إلى الملك ، وقبل أن يركب على ماهر السيارة ليتجه إلى قصر رأس التين قال له أنور السادات هامسا :

– إن كنت ترى أنك فى حاجة إلى حضورى معك فأنا مستعد .

– لا داعى لذلك فى هذه الخطوة .

ومضت السيارة برئيس الوزراء ليسلم إنذار الجيش والشعب والذى يقضى بأن يتنازل فاروق عن عرشه فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا ، ويغادر البلاد فى السادسة من مساء نفس اليوم ..

وأترك السادات يصف اللحظات الأخيرة من تنفيذ خروج الملك :

« أخذ سليمان حافظ وثيقة التنازل وتوجه إلى رأس التين ليوقع عليها الملك ، وخرجت أنا لأتوجه إلى رئاسة البحرية المصرية كى أتفق هناك على خروج المحروسة لتحمل فاروق إلى حيث يشاء .. وما كدت أصل إلى الرئاسة حتى جلست مع قائد البحرية ، وكان معنا رؤساء الفروع ، وأخبرتهم بقرار القيادة الذى يقضى بخروج المحروسة لتحمل فاروق إلى المنفى .. وما إن سمعوا ذلك منى حتى قالوا لى إنهم يتوقعون نسف المحروسة أثناء خروجها إلى عرض البحر وقبل أن أفيق من دهشتى مضوا يقولون لى :

– إن مراكب الأسطول المصرى كلها واقفة فى الميناء الآن ـ وجميعها محملة بالذخيرة ، وهم لا يستبعدون أن تطلق إحدى قطع الأسطول نيران مدافعها على المحروسة وهى ماضية بفاروق إلى المنفى !

وتناقشنا طويلا حول هذه المشكلة وقلت لهم إن القيادة ارتبطت بوعد ، ولا بد أن ينفذ وعد القيادة ، لابد أن تخرج المحروسة سليمة إلى عرض البحر بمن عليها .

واستقر رأينا ـ كوسيلة لمنع ضرب المحروسة بالمدافع ـ أن نوزع أنفسنا على مراكب الأسطول أنا وقائد المحروسة ورؤساء الفروع كل واحد منا يصعد على ظهر مركب من مراكب اسطولنا فى الميناء ، وعلى أن يكون مسئولا عن منع ضباط البحرية من نسف المحروسة . وكان من نصيبى الطراد « فاروق » وهو أكبر قطعة من اسطولنا .. ومن العجيب أنه كان يقف تجاه المحروسة تماماً !

ووقفت على ظهر الطراد وبدأت أنظر إلى رأس التين ، وكنت أرى اللنشات وهى تتجه إلى المحروسة ثم تعود ، ثم تجىء إليها مرة ثانية وعلمت أنهم يحملونها بالمؤن وبمتاع الملك المخلوع استعدادا للرحيل .

وفى الساعة السادسة تماما .. نظرت من المنظار المكبر فرأيت علم

الفاروق فوق السارية أمام رأس التين وقد أنزل .. ثم رأيتهم .. رأيت فاروق ومن حوله المودعين من نساء ورجال ، ولم أميزهم جدا بالمنظار وإن كنت عرفت فيما بعد أنه كان من بين هؤلاء المودعين على ماهر والسفير الأمريكى وشقيقته فوزية . وظللت فى مكانى فوق الطراد «فاروق » أحملق فى المنظار المكبر وأشهد أمامى نهاية ملك .. بل نهاية نظام ، ورأيت فاروق بجسمه الضخم يستقل اللنش إلى المحروسة وكان يرتدى بذلة بحرية بيضاء ووقف على مقدمة اللنش وخيل إلى أنه يريد أن يبدو شجاعا فى لحظاته الأخيرة وهو يغادر أرض الثورة » .

ويواصل السادات حديثه :

« كان أمر القيادة بأن يؤدى الطراد « فاروق » آخر تحية للملك المخلوع والمحروسة فى طريقها إلى المنفى ، وطلبت من قائد الطراد أن يؤدى تلك التحية .. فبدأت المدافع تنطلق واطلقوا واحدا وعشرين مدفعا .. وكانت المحروسة خلال الطلقات تنسحب إلى الخلف لكى تغادر البوغاز ثم تمضى بعد ذلك بعيدا عن أرض الثورة .. وظللت أتابع المحروسة بالمنظار إلى أن غابت عن عينى ، وهنا تلفت حولى لأجد ضباط الطراد يحيطون بى وعلى وجوههم الفرحة الطاغية .. وفى هذه اللحظة فقط وبعد أن انتهت العملية شعرت بالتعب يطبق على كل جزء من جسمى .. وترنحت وكدت أسقط فوق الطراد ، فمنذ ليلة ٢٣ يوليو حتى ذلك المساء لم أنم ولم أسترح .. ولم أطمئن » .

ويواصل الرجل الذى ودع الملك المخلوع بآخر النظرات ولم يكن يعلم أنه سيكون مسئولا فى يوم من الأيام عن شعب مصر حديثه بقوله :

« كنت قبل رحيل المحروسة لا أشعر بتعب ولا بإرهاق .. وفجأة أصبحت لا أستطيع جر قدمى حتى عندما أردت مغادرة الطراد لأعود إلى القيادة فى « مصطفى باشا » لم أستطع النزول من فوق السلم

فـأمسك بي ضـبـاط الطراد وسـاعـدونى حـتى وصلت إلى اللنش ، ووصلت إلى « مصطفى باشـا » ، وكنت لا أزال أترنـح ، ثم دخلت من باب القـيـادة أجـر قـدمى جـرا كـأنى مـصـاب بعـشـرات اللكمـات والضربات ، ورأيت إلى جوار الباب حجرة الضـابط النوبتـجى .. ولم يكن فيـهـا أحد ، وبلا تـفكير اتجـهت إليـهـا ، وبحذائى وبثـيـابـى المبللة بالعـرق والتراب تمددت فوق الأرض لأسـتـغرق فى نوم لم أذق أعمق منه أبدا » .

* * *

كانت هذه الصفحات هى لمحة خاطفة لكفاح واحد من أبناء مصر تولى فى يوم من الأيام دفة القيادة .. وأقف عند هذا الحد فى سردها وأرجو أن تتـاح لى فرصـة أخرى لكى أسـجل البقـية الباقية منهـا فلقد أتيح لى أن أكون على مقربة من الرئيس السـادات فى فترات كثيـرة وخاصـة فى مجلس الأمة المصرى بحكم عملى كمحرر برلمانى .. إن لى مع هذه الفـتـرة ذكـريات .. وذكـريات هـى تكملة لكتـابى « حكم الشـعب » الذى سـجلت فيـه الجـانب الرسـمى لتـاريخ مصـر فى هذه الفترة ..

تحية للشهداء ..

تحية للمجاهدين ..

وتحية للذين يرفعون راية الحق من أجل صيانة الحريات ..

ثم تحية إلى أنور السادات .

الفهـــرس

الصفحة

● العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org\ketab
● البريد الالكترونى
akhbar el yom@akhbarelyom. org

رقم الإيداع
٢٠٠١/٨٧٦٩
الترقيم الدولى
977 - 08 - 0999 -3

الثمن ٦ جنيهات

طبع بمطابع أخبار اليوم